أبو هريرة

وخمسون عامًا بعد وفاة الرسول

تأليف الأستاذ / منير عرفة

monirrrrrrr@yahoo.com

https://www.facebook.com/monirrrrrrr

مناظـــــرة

علمُ العليمِ وعقلُ العاقلِ اختلفا
مَنْ ذا الذي منهما قد أحرز الشرفا
العلمُ قال أنا أحرزتُ غايتــهُ
والعقلُ قال أنا الرحـــمنُ بي عُرِفا
فأفصحَ العلمُ إفصاحًا وقال لهُ
بأيــّنا الرحمنُ في فرقانهِ اتصـــفا
فأيقنَ العقلُ أن العلمَ سيدُه
فقبلَّ العقلُ رأسَ العلمِ وانصرفا
نادهما التوفيقُ أن اسمعا وقفا
لولا وجودى كان الكلُ منحرفا

مقدمة

كثيرا ما يردد الجاهلون شبهات وأباطيل حول أصحاب رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وخاصة الصحابى الجليل أبى هريرة رضى الله عنه .

وهذا الاختيار مقصود، فإن التشكيك فى واحد من أكثر رواة الحديث[١]، هو تشكيك فى آلاف مؤلفة من أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وسيرة الإسلام تبين لنا مدى ضراوة المعركة الدائرة بين الإسلام وبين خصومه. وقد ركزوا على شخصية رسول الله صلى الله عليه وسلم لينالوا منه ثم اتجهوا إلى مَنْ حوله، فأثاروا الشبهات حول زوجته أم المؤمنين عائشة فى حادثة الإفك المعروفة، وكذلك حول ربيبه زيد بن حارثة وولده أسامة بن زيد لأن أحدهما أبيض البشرة والآخر أسمر. وما ذلك إلا لضرب الإسلام نفسه وضرب مصادره وينابيعه.

وما يثيره المغرضون ويدافعون عنه ويزينونه للآخرين على أنه الحق الذى لا جدال فيه وأنهم هم أهل الدراية الذين اُصطفوا من بين العالمين ليفهموا ما لم يفهمه المؤمنون جميعاً إذا وضع تحت البحث والنظر لا يساوى شيئًا.

إن ما يريده هؤلاء شيئ . بيد أن البحث والتحقيق العلمى شيئ آخر.

ولم أتردد فى وضع هذا البحث العلمى، رغبة منى فى دفع الشبهات والأباطيل التى تُثار من حين لآخر، ولعلمى أن المؤمنين وإن كانت فطرهم السليمة تقف مع ما أقول إلا أنهم قد يفتقرون إلى التعبير عنه وهنا يأتى دور العلم والبيان.

وإذا فرطنا كمسلمين فى رد الشبهات المثارة حول الإسلام وأصوله سيُصاب عقلُنا بالكسل والتبلد، وستغلبنا الشبهات الباطلة، الأمر الذى يزعزع يقيننا الإيمانى.

وهذا التدافع سبيل حلول التقدم والصلاح محل الفساد (وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ)[٢].

---

(١) مجموع ما رواه الصحابى الجليل أبو هريرة ٥٣٧٤ حديثا .
(٢) سورة البقرة آية ٢٥١

وليعلم المؤمن أننا نتحدث عن صحابى جليل قال عنه الإمام البخارى: (تتلمذ على يديه ثمانمائة من أهل العلم) كل واحد منهم جبل من جبال العلم.

يقول الدكتور محمد أبو شهبة : (لم أجد أحداً من الصحابة – فيما أعلم– تعرض لسهام النقد الظالم بمثل ما تعرض له الصحابى الجليل أبو هريرة رضى الله عنه.

ثم يقول د. أبو شهبة بعد قليل : ولم نر أحداً يُعتد به من أئمة العلم فى الإسلام تعرض لأبى هريرة بما يغض من شأنه أو يحط من قدره)[٣].

****

وإن الذى حمل على الصحابى الجليل أبى هريرة رضى الله عنه لا يعدو أن يكون واحداً من الأصناف التالية :

* **مستشرق** حاد ببحثه عن المنهج العلمى واتبع هواه الذى قد أعماه فوضع النتائج قبل المعطيات.

* **فرق ضالة** تدعى الإسلام ثم تطعن فى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الذين شهد لهم القرآن ورباهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بنفسه .

ومن أمثلة ذلك ما تعرض له الصحابى الجليل أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله عنه وهو خليفة يصلى بالناس فوقف رجلٌ من هؤلاء على باب المسجد يصيح بأعلى صوته مخاطباً على بن أبى طالب قائلاً : يا علىَّ لقد كفرتَ بعد إيمان. فرد عليه علىٌّ بن أبى طالب رضى الله عنه وهو فى صلاته بقول الله تعالى : (كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ. فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ)[٤].

فإذا كان على بن أبى طالب أو أبو هريرة أو غيرهم من الصحابة الأجلاء قد ضلوا ، فمن يكون على الجادة ؟! .. وصدق الله تعالى إذ يقول : (قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكَنِيَ اللَّهُ وَمَنْ مَعِيَ أَوْ رَحِمَنَا فَمَنْ يُجِيرُ الْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ)[٥].

---

(٣) دفاع عن السنة ورد شبه المستشرقين والكتاب المعاصرين ص ١٦٥- طـ سلسلة البحوث الإسلامية.
(٤) سورة لقمان آية ٥٩-٦٠ . وانظر إلى هذه الواقعة فى تفسير ابن كثير للآيتين.
(٥) سورة الملك آية ٢٨

* **جاهل جهول إمعة** اتبع هواه فعبد غير الله من منصبٍ ومالٍ وأفكارٍ هدَّامةٍ، تجده فى كل حربٍ على الحق وأهله قد شارك.

وقد جمعتُ الشبهات التى أثيرت حول أبى هريرة رضى الله عنه ورددتُ عليها فى ثنايا الكتاب بشكل علمى دقيق يرد على الجاهل ويزداد به الذين آمنوا إيمانا.

ولم آت بالشبهة ثم أرد عليها إلا فى السياق الكلى حتى تُفهم الأمورُ بملابساتها.

ولم أذكر أسماء مثيرى الشبهات لأمرين :

الأول: ضعة لذكرهم : ورحم الله أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه حين قال: (إن لله عباداً يميتون الباطل بهجره ، ويحيون الحق بذكره)[٦].

الثانى: حتى لا يتحول البحث لقضايا شخصية. بل يكون رداً على شبهة وتوثيقًا لحق. (بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ)[٧]

وقد أشرتُ إليهم خلال البحث قائلاً عنهم : (والبعض يتقول ، أو بعض المغرضين ، أو ما شابه).

****

وآلمنى وآلم كل حر، أن ينشر هذا فى وسائل الإعلام والقنوات الفضائية . فكان هذا بحقٍ تجاوزاً لجميع الخطوط الحمراء.

وقبَّح الله أمثالَ هؤلاء لقد كنا نتوقع منهم كل شيئ إلا أن يتخذوا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم غرضاً لسهامهم.

ذلك وقد عشت فى واحةِ هذا الصحابى الجليل متعلماً ومتربياً فأفادونى من حيث لا يشعرون وصدق القائل :

وإذا أراد اللهُ نشر فـضـيلة * طـُويـت أتاح لهـا لسان حسود**

لولا اشتعال النار فيما جاورت * ما كان يُعرف طيبُ عَرف العود**[٨]

---

(٦) حلية الأولياء لأبى نعيم برقم (١٥٠) .

(٧) سورة الأنبياء آية ١٨

(٨) شعر أبى تمام . انظر وفيات الأعيان لابن خلكان ١/ ١٨٦ .

وقد اخترتُ عنوان هذا البحث أن يكون بعنوان (**أبو هريرة وخمسون عاما بعد وفاة الرسول**) تنبيهًا للغافل ليعرف سببًا من أكثر أسباب مرويات أبى هريرة رضى الله عنه. فالصحبة ثابتة ومستقرة ما يقارب أربعة أعوام متصلة ليل نهار وانقطاع تام للتعلم على يد الرسول صلى الله عليه وسلم. يضاف إلى ذلك خمسون عاما بعد وفاة الرسول.

وخذ مثالا على ذلك لتفهم ما أرمى إليه:

أبو بكر الصديق رضى الله تعالى عنه من أكثر الناس ملازمة وصحبة للنبى صلى الله عليه وسلم لكنه مات بعده بما يقارب العامين فقط .

فلمن يروى أبو بكر الصديق عن الرسول أو أحداث الإسلام ؟

إن غالب الأحداث التى عايشها أبو بكر يعرفها الحاضرون من الصحابة. فلا مجال للرواية، فالعهد قريب ، والداعى غير موجود . لذا قلَّت روايات أبى بكر الصديق رضى الله عنه .

وانظر إلى هذا البحث الإجمالي لتحكمَ بنفسك عن طريق هذه الإحصائية من هذه الكتب السبعة المعتمدة : البخاري ومسلم والترمذي والنسائي وأبو داود ابن ماجه واحمد بن حنبل والدارمي.

إن المرويات فى هذه الكتب عن على بن أبى طالب وحده يبلغ (١٥٨٣).

أما مرويات أبى بكر فعددها (٢١٠) .

وأما مرويات عمر فعددها (٩٧٧) .

وأما مرويات عثمان فعددها (٣١٣) .

ويكون مجموع مرويات الخلفاء الثلاثة أبو بكر وعمر وعثمان (١٥٠٠) أى لا يبلغ عدد مرويات على بن أبى طالب وحده .

لماذا ؟!

والجواب : إن البعد الزمنى يؤثر غالبا فى عدد المرويات حيث إن على بن أبى طالب رضى الله عنه وهو من علماء الصحابة عاش بعد الرسول صلى الله عليه وسلم ما

يقارب الثلاثين عاما فكثرت عدد مروياته عن مجموع الروايات التى وردت عن الخلفاء الثلاثة الذين سبقوه مجتمعين.

ذلك لأن الحاجة موجودة بتواجد أجيال جديدة لم تحضر الأحداث ولم تعايش الرسول صلى الله عليه وسلم فاحتاجت هذه الأجيال إلى أن تسمع ممن عايش وحضر وشاهد من قرب ولا يزال حافظًا ذاكرًا للأحداث والأحاديث.

فما بالكم ونحن نتحدث عن أبى هريرة رضى الله عنه الذى عاش بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم خمسين عامًا فنشأت أجيال أكثر لم تشهد أحداث الإسلام ولا سمعت أحاديثه من النبى صلى الله عليه وسلم فاحتاجت هذه الأجيال إلى أن تسمع ممن عايشها ولا يزال حافظًا ذاكرًا للأحاديث والأحداث.

إننى أقول للمسلمين كافة وخاصة العلماء والدعاة منهم أنه ليس فى دين الله ما نخفيه أو نخاف منه .. إنه دين الله عز وجل دين مشرق يفخرُ كل منا بالانتساب إليه. فـــ(اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ)[٩]

واللهَ أسال أن يجعلنا من أهل الحق والهداية، لا من أهل الضلال والغواية.

وصلِّ اللهم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

منير عرفة

مصر – دمياط

تحريرا فى / ٢٠١٥ م – ١٤٣٦هـــ

(٩) سورة آل عمران آية ٢٠٠

قبل رسول الله والهجرة إليه

.....

الرجل السبّاق

(حمد لك يا ربى ، على نعمة الإسلام وكفى بها نعمة)

هذه هى الكلمات التى كان يرددها الطفيل بن عمرو الدوسى رضى الله عنه فى نفسه وهو عائد من من مكة إلى قبيلته دوس – قبيلة باليمن – . وإنه ليتعجب كيف أسلم بعدما حاول أهل مكة منعه من سماع ولقاء رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى إنه وضع كرسفًا – قطنا – فى أذنيه بسبب كلامهم له عن محمد ودعوته. .. فها هو قد أسلم رغم محاولات قريش بإعلامها أن تمنعه وتصده عن الإسلام فقالوا له عن النبى صلى الله عليه وسلم : (إن محمداً يفرق بين الرجل وأبيه . والرجل وأخيه. والرجل وزوجته) .

فأبى الله إلا أن يُسمع دينه ، ودار هذا الحوار فى نفسه :

(ويحك يا طفيل! إنك رجل عاقل شاعر لبيب، تعرف حسن الكلام من قبيحه، فما لك لا تسمعه؟، فإن كان حسناً فاقبله، وإن كان غير ذلك فاتركه).

وما إن سمع الطفيل النبى صلى الله عليه وسلم حتى ملك الإسلام عليه شغاف قلبه.

وها هو الآن يقطع الفيافى والصحارى آيباً إلى قومه ليدعوهم إلى النور الذى اتبعه والإيمان الذى اعتنقه.

ورجع الطفيل رضى الله عنه إلى قبيلة دوس باليمن فرآه أهل بيته على حال غير الحال التى كان يرجع عليها كل مرة .

فعرض الإسلام على أبيه فآمن فى الحال. ثم انتقل إلى أمه فأعرضت ثم أسلمت، ثم انتقل إلى زوجته فأسلمت.

فلما اطمأن الطفيل إلى أن الإسلام قد غمر بيته انتقل إلى عشيرته، إلى أهل دوس جميعاً.

فوجئ القوم بدعوة جديدة لم يألفوها وبدين يقتلعهم من دين الآباء والأجداد ، فلم يسلم منهم أحد سوى **رجل واحد** كانت فطرته تأبى عليه عبادة أحجار مركومة وأخشاب صنعها القوم بأيديهم أمام عينيه ثم ينقلبون إلى عبادتها.

نعم .. قد آمن القومُ بعد ذلك بعد دعاء النبى صلى الله عليه وسلم لهم قائلا : (اللهم اهد دوساً وأت بهم)[١٠]. فجاءوا يستبقون إلى الإسلام.

---

(١٠) صحيح البخارى – باب الدعاء للمشركين (٨ / ٨٤).

لكن يبقى لهذا الرجل الذى أسلم وحده على يد الطفيل بن عمرو رضى الله عنه شرفُ السبق.

لقد آمن **وحده** من بين قومه جميعاً مثلما آمن لوط وحده بإبراهيم عليه السلام بعدما ألقى فى النار . كان من العجيب أن يؤمن له ويصدقه رجل واحد بعد هذه المعجزة البينة لكن الله تعالى يقول (فَآمَنَ لَهُ لُوطٌ)(١١) .

فمَنْ هذا الرجل .. الذى سبق قومه جميعاً واتبع الحق بمجرد سماعه ؟!

هل هو من أثرياء القوم ؟ أم تراه سيداً من أشرافهم؟ أبداً .. أبداً إنه فقير لكنه رجل موقف. إنه أجير لكنه ليس بإمعة. إنه رقيق الحال لكنه يملك بين جنباته قلباً سليماً راشداً وعقلا قوياً يحكم به على من حوله .

فما إن سمعَ داعى الله حتى أسلم لله رب العالمين. وإنها لمنقبة له تدل على أننا أمام رجل من طراز فريد. فالناس كالإبل قلما تجد فيهم الراحلة(١٢).. إنَّ هذا الرجل السبَّاق لابد أن يكون له شأنٌ بعد ذلك وقد كان.

إنه الصحابى السبَّاق أبو هريرة رضى الله عنه.

وصار هذا السبق يلازمه طيلة حياته كما سترى من سيرته خلال هذا البحث. حتى إنى كنت أريد أن أعنون لهذا الكتاب بعنوان " أبو هريرة الرجل السباق "

تحقيق

ويجدر بنا فى هذا المقام أن نوضح أن كثيراً ممن كتب عن أبى هريرة رضى الله عنه يذكر أنه أسلم فى العام السابع للهجرة. لكن التحقيق أنه أسلم قبل مجيئه المدينة المنورة بكثير على يد الطفيل بن عمرو. وأنه جاء المدينة مسلماً فى العام السابع خلال فتح خيبر.

* ذكر ابن حجر فى الإصابة من ترجمة الطفيل أنه لما عاد بعد إسلامه إلى قومه دعاهم إلى الإسلام فلم يجبه بعد أهل بيته إلا أبو هريرة. وهذا يبين أن إسلام أبى هريرة قد تم والنبى لا يزال فى مكة، حيث جاء الطفيل والنبى فى مكة. أى أن أبا هريرة رضى الله عنه قد أسلم قبل قدومه على أقل تقدير بسبعة أعوام.

---

(١١) سورة العنكبوت آية ٢٦

(١٢) جزء من حديث عند الإمام أحمد عن عبد الله بن عمر قال سمعت النبى صلى الله عليه وسلم يقول : (إنما الناس كالإبل المائة لا تكاد تجد فيهم راحلة).

* وأيضًا لما رواه البخارى ومسلم وغيرهما من أمر المشادة التى جرت بين أبى هريرة وبين أبان بن سعيد بن العاص حين قسمة الغنائم بعد فتح خيبر، فقد طلب أبان من الرسول صلى الله عليه وسلم أن يقسم الغنائم فقال أبو هريرة (لا تقسم له يا رسول الله فإنه قاتلُ ابن قوقل) فى غزوة أحد إذ كان أبان لا يزال مشركا فقتل ابنَ قوقل(١٣).

ومن هذه القصة تدرك أمرين: الأول الملكة العلمية عند أبى هريرة فى الحفظ والدراية بأحداث الإسلام وأيامه. والأمر الثانى أن أبا هريرة حين قدم خيبر مهاجراً إلى المدينة لم يكن حديث عهد بالإسلام، بل كان متتبعًا لأحداثه بحيث يعلم أن أبان بن سعيد هو قاتل ابن قوقل يوم أحد. وإليه ذهب الحافظ ابن حجر .

ويتساءل البعض ما اسمه الحقيقى ؟ وما سبب تكنيته بهذه الكنية ؟

اسمه وكنيته

اُختلف فى اسمه واسم أبيه على أقوال كثيرة أبلغها بعضهم إلى أربعة وأربعين قولا أرجعها الحافظ ابن حجر إلى أقوال ثلاثة . ومن أشهرها أنه كان فى الجاهلية يسمى عبد شمس بن صخر فلما أسلم صار اسمه عبد الرحمن بن صخر. وهو من قبيلة دوس إحدى قبائل اليمن وأمه أميمة بنت صفيح بن الحارث دوسية أيضًا.

ولقد كان عطوفًا على الحيوان وكانت له هرة يطعمها ويحملها فى كمه وينظفها ويؤويها وكانت تلازمه كظله وهكذا دُعى أبو هريرة .

قال عن نفسه : (كنت أرعى غنم أهلى وكانت لى هرة صغيرة فكنت أضعها بالليل فى شجرة فإذا كان النهار ذهبتُ بها معى فلعبت بها، فكنونى أبا هريرة)(١٤).

والبعض يتقول على الخلاف الكثير فى اسمه وكنيته .. على أنه بنظرة ثاقبة تجد الأمر غير ذى بالٍ فالاختلاف فى اسم الرجل لا يحط من شأنه .

---

(١٣) أسلم أبان بن سعيد بعد ذلك وحسن إسلامه وولاه النبى ولاية البحرين وكان من المجاهدين من الصحابة. وقد ورد فى الفتح لابن حجر سبب إسلام أبان بن سعيد من طريق سعيد بن العاص قال : أن عمه أبان كان شديدًا على النبى يسبه إذا ذُكر. فخرج إلى الشام فرجع فلم يسبه فسئل عن ذلك ، فذكر أنه لقى راهبًا فأخبره بصفته ونعته، فوقع فى قلبه تصديقه، فلم يلبث أن خرج إلى المدينة فأسلم). وقد دافع عن نفسه حين قال له أبو هريرة ذلك: (ينعى على امرئ أكرمه الله بيدى ومنعه أن يهيننى بيده) فرضى الله عن الصحابة أجمعين.

(١٤) تحفة الأحوذى رقم (٢٣٨٤٩).

وقيمةُ الرجل بعلمه وتقواه لا باسمه واسم أبيه. على أن كثيرا من الصحابة قد اُختلف فى أسمائهم اختلافًا كبيرًا. ولم ينقص ذلك أقدارهم وخدمتهم للإسلام وتقدير المسلمين لهم ولأعمالهم.

ولعل سبب هذا الاختلاف فى اسم أبى هريرة رضى الله عنه إلى أنه منذ أسلم لم يُعرف بين الصحابة إلا بهذا الاسم. وقد أقبل من قبيلة بعيدة عن قريش فعرفه الناس بكنيته.. وإنا لنشاهد أكثر المسلمين اليوم لا يعرفون الاسم الحقيقى لأبى بكر الصديق رضى الله عنه لأنهم منذ النشأة لم يعرفوه إلا بكنيته . فأىُّ ضررٍ فى هذا ؟!!

وإن الاختلاف الكبير فى اسم أبى هريرة رضى الله عنه ليس على حقيقته بل هو ناشئ من وهم الرواة وتقديم لفظ على لفظ ، والخلاف الحقيقى لا يتجاوز على التحقيق ثلاثة أقوال كما أوردها الحافظ ابن حجر فى الإصابة.

أوصافه وشمائله

كان أبو هريرة رضى الله عنه آدم (يعنى أسمر البشرة) بعيد ما بين المنكبين ، ذا ضفيرتين ، أفرق الثنيتين ، يصفر[١٥] لحيته ويعفيها. ويجز شاربه .

وكان صادق اللهجة، له جلال ومهابة عند أهل العلم العارفين بمكانته، لا السفهاء الذين لا يعيرون احتراماً ولا وزناً حتى لأنبياء الله صلوات الله وسلامه عليهم.

* فعن عبد الله بن رافع ، قال: قلت لأبي هريرة : لم كُنِّيتَ أبا هريرة ؟ قال : أما تفرق[١٦] مني ؟ قلت : بلى والله إني **لأهابك** ، قال " : كنت أرعى غنم أهلي وكانت لي هريرة صغيرة ، فكنت أضعها بالليل في شجرة ، فإذا كان النهار ذهبت بها معي ، فلعبت بها ، فكنوني أبا هريرة [١٧].

ومع هذه المهابة كان يمتع بخفة الروح، محبباً إلى الصحابة، محباً للدعابة اللطيفة.

* أخرج ابن أبى الدنيا فى كتاب المزاح عن الزبير بن بكار أن رجلاً قال لأبى هريرة رضى الله عنه : إنى أصبحت صائما ، فوجدت عندى خبزا ولحما فأكلت حتى شبعت ونسيت أنى صائم ، فقال أبو هريرة رضى الله عنه : الله أطعمك. قال فخرجت حتى أتيت فلانا فوجدت عنده نعجة تحلب فشربت من لبنها حتى رويت، قال أبو هريرة رضى الله عنه: الله أسقاك. قال فرجعت إلى أهلى فقلت (من القيلولة) فلما استيقظت دعوت بماء فشربته، فقال أبو هريرة رضى الله عنه: يا ابن أخى ، إنك لم تعود الصيام !.

* وروى ابن قتيبة أن مروان بن الحكم استخلف أبا هريرة رضى الله عنه على المدينة فركب حماراً قد شدَّ عليه بردعة وفى رأس الحمار خلية من ليف فيسير فيلقى الرجل فيقول : الطريق .. قد جاء الأمير .

وهذا مما لا شك فيه من الروح الدعابة التى تزيد الرجل محبة إلى أصحابه.

غير أن بعض المغرضين يثير الشكوك حول الصحابى الجليل رضى الله عنه بسبب روح الدعابة عند أبى هريرة رضى الله عنه .. وإنا لنعجب من المتحاملين على الإسلام إذا كان

---

(١٥) يصفر : من الصفرة (اللون الأصفر) .
(١٦) تفرق : تخاف .
(١٧) أخرجه الترمذى – كتاب الدعوات – أبواب المناقب برقم (٣٨٠٤) وقال الترمذى : هذا حديث حسن غريب.

المسلم يظهر بمظهر الجاد، قالوا عنه أنه فظ وغليظ القلب وغير ذلك. وإذا داعب مرة أو مرات تحاملوا عليه بأنه مزَّاح.

والقول البَيِّن أن ظهور الرجل بمظهر المتلطف المداعب المحب للمرح والمزاح لا يحط من قدره ولا يكون مظهراً من مظاهر اضطراب عقله. بل إن النبى الكريم صلى الله عليه وسلم كان يمزح ولا يقول إلا صدقا.

وإن العالم أو المفتى أو الأمير على جماعة إذا داعبهم وتسامر معهم فذلك لا شك مما يؤلف قلوبهم له ويرفع مكانته عندهم وذلك أبقى لهم وأخير.

وهذا مما علمنا إياه الله بقوله لرسول الله: (وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ)[١٨].

هجرته من دوس إلى المدينة

وظل أبو هريرة رضى الله عنه سنوات وسنوات مع المؤمنين فى قبيلته دوس. وكانت نفسه تتوق شوقًا إلى أخبار رسول الله صلى الله عليه وسلم فى مكة وفى هجرته من مكة إلى المدينة وفى سلمه وحربه من غزو بدر إلى غزوة أحد إلى غزوة الخندق إلى صلح الحديبية وغيرها من الأحداث. ويتمنى أن تسمح له الأقدار ليكون خادمًا لهذا الرسول الكريم إلى أن جاءت السنة السابعة للهجرة حيث جاءت قبيلة دوس مسلمين إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ثمانين بيتًا وعائلة ومن بينهم أبو هريرة رضى الله عنه.

لكن أبت أحداث رحلته إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا أن تضع خطوطًا وخطوطًا على موقفه وكفاحه من أجل الهجرة للنبى صلى الله عليه وسلم فتنقل لنا الروايات الصحيحة كيف جاء مهاجراً إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم كما نقل الحافظ ابن كثير فى البداية والنهاية وابن سعد فى طبقاته وابن ماجة فى سننه وغيرهم من أهل العلم قول أبى هريرة : (نشأت يتيمًا وهاجرت مسكينًا وكنت أجيراً لابنة غزوان – بسرة بنت غزوان – بطعام بطنى وعقبة رحلى أحطب لهم إذا نزلوا وأحدو لهم إذا ركبوا فالحمد لله الذى جعل الدين قواماً وجعل أبا هريرة إماماً)[١٩]

---

(١٨) سورة آل عمران آية ١٥٩

(١٩) سنن ابن ماجة – كتاب الأحكام .

فقد كان أبو هريرة رضى الله عنه فى حلٍ من هذا كله ، فهو فقير مسكين لا يملك قوت يومه فما الذى يدفعه إلى أن يتكبد عناء الهجرة أجيراً للقوم حتى يأخذوه معهم إلى النبى صلى الله عليه وسلم ؟! لكنه الشوق الذى ملك عليه نفسه لمصاحبة صاحب الدعوة صلى الله عليه وسلم والأخذ منه والتعلم على يديه.

وإذا كان طلبة العلم والباحثين عن الحق يتمنى الواحد منهم أن يتتلمذ على أيدى أكابر العلماء سنوات وسنوات .

فما بال أبى هريرة رضى الله عنه لا يكون هذا حاله وهو يريد أن يتتلمذ على يدى الرسول الخاتم والنبى الأمين وسيد الدعاة والعلماء صلى الله عليه وسلم.

وإن هذا ليذكرنا بنبى من أنبياء الله العظام كما ورد فى سورة القصص وهو نبى الله موسى – عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام – الذى أجَّر نفسه ثمانى أو عشر سنوات لكى يتزوج ويعف نفسه عن الفواحش.

والإسلام بذلك يرفع شان الزواج حتى إن نبياً ممن أنبياء الله لينفق عشرة أعوام من عمره فى سبيل هذا الغرض. ثم يذكرنا القرآن مرة أخرى كيف أن نبى الله موسى – وهو من هو – حينما علم أن على وجه الأرض من هو أعلم منه وهو العبد الصالح الذى ورد ذكره فى سورة الكهف كيف ترك موسى عليه السلام كل ما لديه من شواغل الدنيا وعلائقها المختلفة وسياسة أمته لا لشيئ إلا ليتعلم ممن هو أعلم منه .

والإسلام بذلك يرفع شأن العلم والعلماء ويبين ضرورة التتلمذ على أيدى العلماء والصبر للوصول إليهم ، والصبر فى الأخذ منهم ، والصبر على مرارة الجوع والمشقة فى سبيل ذلك. وما تهلك الأمم والدعوات العظيمة إلا يوم أن يتولى زمام أمرها الجهلاء ، ولله در أمير الشعراء شوقى حين قال:

هل علمتم أمة فى جهلها ... ظهرت فى المجد حسناء الرداء؟!(٢٠)

وعلى كلٍ فقد وصل أبو هريرة رضى الله عنه إلى المدينة وهو نفس الوقت الذى جاء فيه مهاجرو الحبشة يتقدمهم جعفر بن أبى طالب رضى الله عنه ووافق ذلك فتح خيبر ففرح

(٢٠) ديوان أمير الشعراء أحمد شوقى.

النبى صلى الله عليه وسلم بذلك وقال: (لا أدرى بأيهما أفرح ، بفتح خيبر أم بقدوم جعفر)[٢١].

وليس أمامنا وثيقة تثبت أن قدوم أهل دوس وقدوم مهاجرى الحبشة وغيرهم كان أمراً مرسوماً من الرسول صلى الله عليه وسلم ، حيث اشتد عود الدعوة فى المدينة وأصبح للمؤمنين فى بقاع الأرض دولةٌ تحميهم أم أن هذا من أقدار السماء.

والذى نرجحه أن هذا من الخطوات التى اتخذها النبى صلى الله عليه وسلم ليفتح بيئات جديدة وأرضى مختلفة فى عدة أماكن حتى اطمأن إلى المدينة كوطن. وإلا فما الذى أخرَّ جعفر بن أبى طالب رضى الله عنه ومَنْ معه طيلة هذه المدة ؟! وما الذى أخر الطفيل بن عمرو رضى الله عنه ومَنْ معه من أمثال أبى هريرة رضى الله عنه طيلة هذه المدة ؟!

بل إنه ورد فى كتب السنة وكتب السيرة أن أفراداً جاءوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو لا يزال بمكة فأسلموا على يديه ، فأمرهم أن يعودوا إلى أوطانهم مرة أخرى ، وأن يتتبعوا أخباره عن بعد فإذا ظهر أمره فليلحقوا به .

وذلك ثابت فى قصة إسلام الصحابى الجليل أبى ذر الغفارى رضى الله عنه كما ورد فى رواية البخارى عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له: (ارجع إلى قومك فأخبرهم حتى يأتيك أمرى)[٢٢]. وفى رواية ابن قتيبة (اكتم هذا الأمر ، وارجع إلى قومك فأخبرهم ، فإذا بلغك ظهورنا فأقبل)[٢٣].

وفى رواية عبد الله بن الصامت رضى الله عنه : (إنه قد وُجهت إلى أرضٍ ذات نخلٍ ، فهل أنت مبلغ عنى قومك عسى الله أن ينفعهم بك)[٢٤].

هكذا .. كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتخذ للأمور عدتها ليُعَلِمَ أتباعه على مر الأجيال القادمة أن يخططوا بأنفسهم ، وألا يتكلوا ، وألا يحشدوا أنفسهم فى مواطن الصدام والفتن ما استطاعوا إلى ذلك سبيلا فأرض الله واسعة والأيام تتقلب.

---

(٢١) المستدرك على الصحيحين للحاكم حديث رقم (٤٨٧٨) .
(٢٢) صحيح البخارى – كتاب المناقب – باب إسلام أبى ذر الغفارى حديث رقم (٣٥٩٧) .
(٢٣) صحيح البخارى – كتاب المناقب – باب قصة زمزم حديث رقم (٣٣٢٨) .
(٢٤) صحيح مسلم – كتاب فضائل الصحابة – باب فضائل أبى ذر حديث رقم (٢٤٧٣) .

وعلى كل حالٍ .. عاد مَنْ عاد بعد ذلك من أهل دوسٍ إلى أوطانهم وبقى مَنْ بقى وعلى رأس الذين بقوا من أهل دوس فى المدينة المنورة الرجل السباق أبو هريرة رضى الله عنه .

وإنها لمنقبةٌ له مرة أخرى أن يترك وطنه وذويه – رغم ما للأوطان من حنين – وذلك ليصاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ويكون تابعاً له .

وكان أبو هريرة رضى الله عنه من حين لآخر يذكر رحلته من قبيلته دوس إلى المدينة ويفرح بها ويحتسبها عند الله . فعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : (لما قدمت على النبى صلى الله عليه وسلم قلت فى الطريق :

يَا لَيْلَةً من طولِها وعَنَائِهَا ... عَلَى أنَّها من دارةِ الكفرِ نَجَّتِ

وأبق غلام لى فى الطريق فلما قدمت على النبى صلى الله عليه وسلم فبايعته فبينا أنا عنده إذ طلع الغلام . فقال لى النبى صلى الله عليه وسلم يا أبا هريرة هذا غلامك . فقلت : هو لوجه الله فأعتقته)[٢٥].

(٢٥) صحيح البخارى – كتاب المغازى .

الحياة مع رسول الله

الصحبة المباركة

هكذا قدم أبو هريرة رضى الله عنه إلى المدينة فى العام السابع للهجرة الذى وافق فتح خيبر على المسلمين. ولما وصل إلى المدينة سأل عن النبى صلى الله عليه وسلم فوجده قد خرج مجاهداً لفتح خيبر. وقد استخلف على المدينة سباعَ بن عرفطة ، فتوجه أبو هريرة رضى الله عنه مباشرةً إلى خيبر ، حيث رسول الله صلى الله عليه وسلم وكتائب الإيمان فشارك معهم .

وحديث قدوم أبى هريرة رضى الله عنه المدينة والنبى صلى الله عليه وسلم بخيبر أخرجه أحمد وابن خزيمة وابن حبان والحاكم. ورواية الإمام أحمد بسنده أن أبا هريرة رضى الله عنه قدم المدينة فى رهط من قومه والنبى صلى الله عليه وسلم بخيبر وقد استخلف سِبَاعَ بن عُرْفُطَةَ على المدينة قال فانتهيت إليه وهو يقرأ فى صلاة الصبح فى الركعة الأولى بـــ كهيعص وفى الثانية ويل للمطففين قال فقلت لنفسى ويل لفلان إذا اكتال اكتال بالوافى وإذا كال كال بالناقص قال فلما صلى زودنا شيئًا حتى أتينا خيبر وقد افتتح النبى صلى الله عليه وسلم خيبر. قال فكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم المسلمين فأشركونا فى سهامهم.

وإنها لمنقبة أيضاً إلى الصحابى الجليل أبى هريرة رضى الله عنه فمنذ اللحظة الأولى وقدومه إلى المدينة ولما يسترح بعد ، يضع نفسه فى مصاف المسلمين المجاهدين .

فطنة الرجل

ومنذ ذلك اليوم أدرك أبو هريرة رضى الله عنه بفطرته السديدة الدور الكبير الذى يستطيع أن يخدم به دين الله .

فأمةُ الإسلام أمة كبيرة نزح إليها المسلمون الصادقون من بقاع الأرض المختلفة الذين أبعدوا الجماعة المسلمة عن روح القَبَلِيَّةِ والقومية وجعلوها منذ البداية غير محدودة الموطن فهذا فارسى والآخر حبشى وهذا من دوس وآخر من غفار وهذا رومى والآخر كان من أهل كتاب لكنه أسلم. يربط هؤلاء جميعا قيادة واحدة تهوى إليها الأفئدة. وقُسمت المواهب وتوزعت تلقائياً وباركتها القيادة الحكيمة .

فأين صاحبنا من هؤلاء ؟!

إن أبطال الحرب فى الصحابة كثيرون يقدمهم خالد بن الوليد. والفقهاء والقرَّاء والمعلمون كثيرون كعلى بن أبى طالب وزيد بن ثابت وابن عباس وابن مسعود وابن جبل. ولكن البيئة والجماعة تفتقد إلى حفظ خطوات الدعوة وتوثيق تاريخها وتوثيق كلمات وأفعال وأحاديث صاحب الدعوة .

جاء أبو هريرة رضى الله عنه فعلم موطن قوته ونبوغه شخصيا ورأى أن ما يحتاجه دين الله بالتحديد هو الحفظ والضبط والتوثيق، فجاء أبو هريرة رضى الله عنه على قَدَرٍ مع هذه الحاجة.

وفى وقت السلم كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم مشغولين بالصفق بالأسواق. ولم يكن أبو هريرة رضى الله عنه كاتبًا، ولكنه كان حافظًا، وكان يملك هذا الفراغ المنشود. أو لنقل إنه تفرغ تمامًا بعد أن حدد هدفه جيدًا فليس له أرض يزرعها ولا تجارة يتبعها.

فكرس حياته فى خدمة صاحب الدعوة ، وأعتق عبده الهارب ليتفرغ تمامًا لهذا الغرض.

وعلم النبى صلى الله عليه وسلم ما سيكون لأبى هريرة رضى الله عنه ولأمثاله من دور عظيم بعد ذلك فخصص لهم مكانًا يتعايشون فيه وسماهم باسم هذا المكان " أهل الصفة " وهو مكان فى المسجد كان يأوى إليه المنقطعون للعلم والجهاد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس لهم عمل ولا أهل فى المدينة. وكان فى الصفة كرام من الصحابة. وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكرمهم ويحث على إكرامهم ويُعرفون بين الصحابة بأضياف الإسلام.

وقد مدح الله القرآن أهل الصفة والفقراء فقال :

(لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ)[٢٦].

(٢٦) سورة البقرة آية ٢٧٣

وظل أبو هريرة رضى الله عنه لا يشغله عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وخدمته شاغل فقد روى الإمام مسلم فى صحيحه فى كتاب فضائل الصحابة عن أبى هريرة رضى الله عنه أنه قال : (كنت رجلاً مسكينًا أخدم رسول الله على ملء بطنى) ورواية البخارى فى كتاب البيوع عنه (وكنت ألزم رسول الله على ملء بطنى).

وقد وضح العلماء الأجلاء الذين أنار الله بصائرهم وطهر قلوبهم قول أبى هريرة رضى الله عنه "على ملء بطنى" أى ألازمه وأقنع بقوتى ولا أجمع مالاً لذخيرة ولا غيرها ولا أزيد على قوتى.

والمراد من حيث حصول القوت من الوجوه المباحة، وليس هو من الخدمة بالأجرة. ولقد ذكرها أبو هريرة رضى الله عنه ليبين سر كثرة أحاديثه وليبين أنه لم يكن يشغله عن رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئ مما يشغل غيره، بل كان رضى الله عنه منقطعًا لطلب العلم والأخذ عن النبى صلى الله عليه وسلم.

تحقيق وتدقيق

وقد تقوَّل بعضهم على عبارة "على ملء بطنى" بأن أبا هريرة رضى الله عنه ما صحب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا ليأكل عنده .

* (كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنْ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا)[٢٧] ، أو ترى رجلا بفطنة أبى هريرة رضى الله عنه وعلمه وحفظه يترك قبيلته وأوطانه ليلزم رسول الله صلى الله عليه وسلم ليأكل عنده ؟!

* أو ما كان الأولى به أن يذهب إلى رجلٍ من أثرياء قومه ليأكل ويشرب من أطايب الطعام؟!

* ثم ما الذى كان فى بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ليطمع أبو هريرة رضى الله عنه فى أكله وشربه ؟! لقد نقلت الكتب الصحيحة مدى الزهد والتقشف الذى كان النبى وأهل بيته يعيشونه .

فعن أم المؤمنين عائشة ، أنها كانت تقول لعروة بن الزبير ابن أختها أسماء : والله! يا ابن أختى ! إن كنا لننظر إلى الهلال ثم الهلال ثم الهلال . ثلاثة أهلة فى شهرين . وما أوقد

(٢٧) سورة الكهف آية ٥

فى أبيات رسول الله صلى الله عليه وسلم نار . قال قلت : يا خالة ! فما كان يعيشكم ؟ قالت : الأسودان التمر والماء . إلا أنه قد كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم جيران من الأنصار . وكانت لهم منائح . فكانوا يرسلون إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم من ألبانها ، فيسقيناه(٢٨).

فلم يكن بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم من البيوت التى يُطمع فى مرقها أو لحمها أو دسمها حتى إن أبا هريرة رضى الله عنه قال عن نفسه أنه كان يُصرع – يسقط على الأرض – يتلوى من شدة الجوع والصحابة لا يتوقعون أن ما به ناتج عن الجوع فيظنونه مريضاً وما به من مرض إنما هو الجوع . وفى سبيل تفرغه لطلب العلم عانى من قسوة الجوع وشدته ما لم يعانى مثله أحد.

ويسجل القرآن فى سورة الأحزاب كيف أن نساء النبى صلى الله عليه وسلم اشتكين من الحياة الشديدة التى كان يحياها رسول الله صلى الله عليه وسلم ونسائه حتى طالبن بأن يتساوين بنساء الرعية . وإنه لمطلب عظيم أن يتساوى بيت الحاكم ببيوت بقية الرعية .

ولو كان مثل هذا الموقف فى أى أمة أخرى من الأمم لاعتبروها مفخرة لهم. لكن الوحى ينزل ليبين أن نساء النبى صلى الله عليه وسلم لسن كبقية النساء، بل رسول الله وأزواجه صلى الله عليه وسلم قدوة للمسلمين وفقرائهم على مر الأجيال. فلا بد لأى فقير أن يجد فى رسوله وقائده أسوة فيصبر ويحتسب.

* ثم ألم يكن فى أرض دوس كلها – وهى قبيلة معروفة بالشرف والكرم عند العرب – ألم يكن عندهم ما يسد جوعة أبى هريرة رضى الله عنه.

حقا (فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ)(٢٩).

* وإنا لنجد فى بعض ما ذكره ابن كثير فى تاريخه عن أبى هريرة رضى الله عنه ما يرفع شأنه ويعلى مكانته فى قلوب أهل الحق والإيمان فقد نقل عن أبى هريرة رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال له : ألا تسألنى من هذه الغنائم التى سألنى أصحابك ؟ قال أبو هريرة رضى الله عنه : قلت : أسالك أن تعلمنى مما علمك الله .

---

(٢٨) صحيح مسلم – كتاب الزهد والرقائق .
(٢٩) سورة الحج آية ٤٦

فهل هناك أروع من هذا الإخلاص للحق والعلم ؟

* وقد كان النبى صلى الله عليه وسلم يوضح للمؤمنين أن لا يملك لهم نفعًا ولا ضرًا.

وكم كان أصحابه يسألونه عما لهم إن هم آمنوا بالله فيجيبهم : لكم الجنة.

وكانت الغاية واضحة عندهم وضوح الشمس منذ اللحظة الأولى.

وكم من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أمثال مصعب بن عمير ، وحمزة بن عبد المطلب وغيرهم الكثير ماتوا أثناء الدعوة والجهاد لرفع راية الإسلام العظيم فما صحبوا رسول الله صلى الله عليه وسلم طمعًا فى مالٍ ولا منصب ولا جاه وما صحبوه إلا ابتغاء وجه الله وتجردًا للحق.

وقد كان رسول الله فى مكة يعرض دعوته على القبائل قبيلة قبيلة وكلها ترفض. وفى تلك الأيام اللافحة عرض نفسه على قبيلة بنى عامر بن صعصعة فقبلوا منه وبينما يضع النبى صلى الله عليه وسلم يده فى يد زعيمهم بيحرة بن فراس قال بيحرة : يا رسول الله أرأيت إن نحن بايعناك على أمرك ثم أظهرك الله على من خالفك أيكون لنا الأمر من بعدك ؟

فنزع النبى صلى الله عليه وسلم يده من يد الرجل قائلا : الأمر لله يضعه حيث يشاء .

عندئذٍ انفضوا قائلين : لا حاجة لنا بأمرك. أنعرض نحورنا إلى العرب يضربونها، فإذا أظهرك الله وضعت الأمر فى غيرنا ؟!

وتركهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وتركهم باحثًا عن مؤمنين لا يشترون بآيات الله ثمنًا قليلاً !!

فقد كان أبو هريرة رضى الله عنه يلمح لبعض أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم على أنه فى شدة الجوع ولم يكن يفهم الصحابة تعريضه لهم بسبب شدة استحيائه . اللهم إلا الصحابى الجليل جعفر بن أبى طالب الذى كُنى بأبى المساكين لكثرة عطفه على أهل الصفة فكان أبو هريرة رضى الله عنه يقول عن جعفر : (كان خير الناس للمساكين جعفر بن أبى طالب).

روى البخارى عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : (كنت ألزم النبي صلى الله عليه وسلم لشبع بطني حين لا آكل الخمير ولا ألبس الحرير ولا يخدمني فلان ولا فلانة وألصق بطني بالحصباء وأستقرئ الرجل الآية وهي معي كي ينقلب بي فيطعمني وخير

الناس للمساكين جعفر بن أبي طالب ينقلب بنا فيطعمنا ما كان في بيته حتى إن كان ليخرج إلينا العكة ليس فيها شيء فنشتقها فنلعق ما فيها)[٣٠].

وهل ترى رجلاً كأبى هريرة رضى الله عنه يؤمن وحده من بين قومه جميعاً وقبل رؤية النبى صلى الله عليه وسلم ، ويرضى فى سبيل الهجرة إلى رسول الله أن يخدم قافلة مسافرة فى الطريق ، ويرضى أن يسكن فى الصفة مأوى من لا بيت له ولا سكن ، وأن يتحمل مرارة الجوع فى سبيل العلم، وحمل أمانته ثم يكون بعد ذلك طالباً لمال أو لجاه؟!

توضيح

ولم يكن أبو هريرة هو الوحيد المهتم بملازمة النبى صلى الله عليه وسلم والتعلم بين يديه والأخذ عنه. فقد كان الصحابة جميعاً كذلك. وكانوا يتناوبون لسماع الحديث ، مما يبين أننا أمام جامعة كبيرة يحرص طلابها على التعلم حضروا أم غابوا ، فقد روى البخارى عن عمر بن الخطاب قال : (كنت أنا وجار لي من الأنصار في بني أمية بن زيد وهي من عوالي المدينة وكنا نتناوب النزول على رسول الله صلى الله عليه وسلم ينزل يوما وأنزل يوما فإذا نزلت جئته بخبر ذلك اليوم من الوحي وغيره وإذا نزل فعل مثل)[٣١].

وبذلك جمعوا بين خيرى الدنيا والآخرة فما شغلتهم دنياهم عن دينهم ، ولا شغلهم دينهم عن دنياهم .

الحفظ .. وقصة بسط الثوب

إذا كان لكل أمة ما تمتاز به عن غيرها من الأمم، فإن أمة العرب قد امتازت بالحفظ والقريحة الصافية حيث صفاء الصحراء والفضاء الهائل الفسيح وخلو الزمان وعدم الانشغال.

هنا يعيش الإنسان مع ذاكرة وهبها الله له يعتمد عليها فى معاملاته وتاريخه ووجوده. وهنا حيث العرب يقيمون منافسات الشعراء بمعلقاتهم الطوال المكونة من آلاف الأبيات الشعرية فيحفظها القاصى والدانى عن ظهر قلب وربما من مرة واحدة.

---

(٣٠) صحيح البخارى – كتاب الأطعمة حديث (٥١١٦)

(٣١) صحيح البخارى - باب التناوب في العلم حديث رقم (٨٩)

* يُضاف إلى ذلك ؛ الملازمة التامة حيث كان أبو هريرة رضى الله عنه من أكثر الصحابة انقطاعاً وملازمةً للرسول صلى الله عليه وسلم. وبذلك قد اطلع على ما لم يطلع عليه غيره من أقوال وأعمال للرسول صلى الله عليه وسلم.

ولذا ليس بغريب أن يكون أبو هريرة رضى الله عنه أحفظهم لأحوال رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد اجتمع له أمور لم تجتمع لغيره منها:

أولا : التفرغ التام لمصاحبة النبى صلى الله عليه وسلم : فلم يكن يشغله تجارة ولا زراعة ولا شاغل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ثانيًا : الذاكرة القوية التى باركها الرسول صلى الله عليه وسلم فزادت قوة على قوة. وإذا كانت البيئة كلها تمتاز بالحفظ فقد بلغ صاحبنا فى ذلك الغاية القصوى. وليس غريبا على أمة بأكملها أن يبرز فيه أفراد كل له مواهب خاصة يتقدم بها على الآخرين حتى يصير مضرب المثل فى هذه الموهبة.

ومثال ذلك بيئة تهتم مثلا بتحفيظ أولادها القرآن الكريم وكلهم يحفظون فلن تعدم رغم حفظهم جميعاً أن تجد منهم أفرادًا نابهين يكونون آية فى الحفظ عن بقية أقرانهم.

ثالثًا : الحرص على طلب العلم : وطالب العلم الحريص يشعر دائماً أنه مقصر ، فقد ذهب أبو هريرة رضى الله عنه يوماً لرسول الله صلى الله عليه وسلم يشكو إليه أن ينسى رغم جده واجتهاده فبارك رسول الله صلى الله عليه وسلم حفظه.

وإن ذاكرة التاريخ لتحدثنا أن الإمام الشافعى ذهب إلى أستاذه وشيخه وكيع بن الجراح يشكو إليه سوء حفظه فنصحه العالم الورع وكيع بأن العلم نور، وعليه أن يحفظ الله ليحفظ الله عليه نوره وسجل الإمام الشافعى ذلك فى شعره فقال :

شكوت إلى وكيعٍ سوء حفظى ... فأرشدنى إلى ترك المعاصى

وأخبرنى بأن العلـــــم نور ... ونور الله لا يُهـــدى لعاصى

هذا مع أن الإمام الشافعى كان كما هو معلوم لدى الجميع آية من آيات الحفظ ، فكان يضع يده اليسرى حتى لا يحفظها قبل اليمنى .

وقد حفظ الإمام الشافعى القرآن الكريم كله فى ثمانين يومًا. وحفظ ما فى موطأ الإمام مالك كله فى تسعة أيام. فيُفهم من شكوى أمثال هؤلاء من النسيان أنهم على حفظ عظيم ولكنه الحرص الكبير على ألا يفوته شيئ .

فى ضوء ما قدمنا نفهم كيف اشتكى أبو هريرة رضى الله عنه لرسول الله صلى الله عليه وسلم فلا شك أنه امتاز بذاكرة وقَّادة وحافظة قوية. وبوركت هذه الذاكرة العظيمة بدعاء النبى صلى الله عليه وسلم له .

وعن أبي هريرة ، قال: قلت يا رسول الله أسمع منك أشياء فلا أحفظها قال: ابسط رداءك فبسطته فحدث حديثا كثيرا فما نسيت شيئا حدثني به(٣٢).

وقد عدَّ العلماء هذا من معجزاته صلى الله عليه وسلم فقد كان أبو هريرة رضى الله عنه أحفظ الصحابة للحديث فى عهده حيث لم ينس بعدها حديثًا قط(٣٣).

زيد بن ثابت يشهد

وثمة رواية يغفل عنها الكثير ممن يتحدث عن حفظ أبى هريرة رضى الله عنه لم ينقلها أبو هريرة رضى الله عنه نفسه، إنما نقلها وحدث بها صحابى جليل من أكابر علماء الصحابة مشهود له بالعلم والإمامة ألا وهو زيد بن ثابت رضى الله عنه الذى كان عالمًا كبيرًا يأخذ سيدنا عبد الله بن عباس رضى الله عنهما بركابه ويقول : (هكذا أُمرنا أن نفعل بعلمائنا)(٣٤).

وقد وثق الخليفة الراشد أبو بكر الصديق وكبار الصحابة رضوان الله عليهم فى زيد بن ثابت فأسندوا إليه مهمة جمع القرآن وذلك لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم وثق فيه قبل ذلك وجعله من كتبة الوحى.

ووثق فيه الخليفة الراشد عثمان بن عفان رضى الله عنه فى نسخ القرآن إلى عدة نسخ لتوزع على بقية الأمصار .

---

(٣٢) أخرجه الترمذى فى سننه برقم (٣٨٣٥) وقال حديث حسن صحيح.وهذه القصة – قصة بسط الثوب – أخرجها أئمة الحديث الجهابذة أحمد والبخارى ومسلم والنسائى وأبو يعلى وأبو نعيم وغيرهم .

(٣٣) قال العلماء إن ثبت أن أبا هريرة رضى الله عنه قد نسى أى حديث فهو محمول على أنه من الأحاديث التى سمعها قبل قصة بسط الثوب.

(٣٤) المجالسة وجواهر العلم للدينوري .

وما زال المسلمون يعرفون فضل زيد بن ثابت فقد قال قبيصة : (كان زيدٌ رأساً بالمدينة فى القضاء والفتوى والقراءة والفرائض)

هذا الصحابى الذى قدمنا له وهو زيد بن ثابت رضى الله عنه رغم علمه العظيم يغبط أبا هريرة رضى الله عنه على حفظه ويتمنى أن ينال ما ناله أبو هريرة رضى الله عنه ويشهد بمباركة النبى صلى الله عليه وسلم لحفظ أبى هريرة رضى الله عنه ويبين حرص أبى هريرة رضى الله عنه للحفظ حيث روى النسائى بسنده هذه الرواية: (جاء سائل إلى زيد بن ثابت ، فسأله عن شيء ، فقال له زيد: عليك بأبى هريرة ، " فإني بينما أنا وأبو هريرة وفلان في المسجد ذات يوم ندعو الله ، ونذكر ربنا ، خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى جلس إلينا ، فسكتنا ، فقال : عودوا للذي كنتم فيه ، قال زيد : فدعوت أنا وصاحبي قبل أبي هريرة ، وجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يؤمن على دعائنا ، ثم دعا أبو هريرة ، فقال : اللهم إني أسألك مثل ما سألك صاحباي هذان، وأسألك علما لا يُنسى ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : آمين ، فقال : يا رسول الله ، ونحن نسأل الله علما لا ينسى ، فقال: سبقكم بها الغلام الدوسي)[٣٥].

الغلام الدوسى

وإن مقولة النبى صلى الله عليه وسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه " الغلام الدوسى " تلفت الانتباه. وتُفهم بلا شك على أنها من قبيل المدح فإن المعروف أن أبا هريرة رضى الله عنه قد قدم المدينة مسلماً وهو يبلغ من العمر ثلاثين عاماً، والعرب لا تطلق غلام على هذا السن.

فلا تحتمل كلمة غلام هنا إلا على سبيل المدح ، قالت ليلى الأخيلية تمدح الحجاج ابن يوسف الثقفى المشهور فتقول :

إذا هبط الحجاجُ أرضًا مريضـــــةً ... تتبع أقصى دائها فشفاها

شفاها من الداء العضال الذي بها ... غلامٌ إذا هز القناة سقاها

سقاها فرواها بشـــــرب سجاله ... دماء رجال حيث مال حشاها

فقد مدحته هنا بقولها عنه " غلام " مع أن الحجاج كان كبيراً فى السن .

---

(٣٥) السنن الكبرى للنسائى – كتاب العلم (٥٦٦٧)

وإن العامة إلى اليوم حين تعجب من فعل رجل بكلمة " ولد " مع أن هذه الكلمة عندهم تعنى السن الصغير، ولكن هنا يطلقونها على سبيل المدح.

ونرجع إلى عبارة " الغلام الدوسى " فنقول أن النبى صلى الله عليه وسلم أعجبه فطنة أبى هريرة رضى الله عنه وحسن طلبه عندما جمع خير صاحبيه وزاد بما سبق به غيره حيث قال (وأسالك علماً لا يُنسى) فأمَّن النبى صلى الله عليه وسلم. وحاول أصحابه أن يدركوا فضله لكن النبى صلى الله عليه وسلم وضح مزية أبى هريرة رضى الله عنه.

وإن المتتبع لتاريخ أبى هريرة رضى الله عنه ليلحظ له السبق فى أمور كثيرة. فقد سبق قومه إلى الإسلام، وسبقهم فى هجرته حيث بذل ما بذل من أجل الهجرة، وسبقهم حين لازم النبى صلى الله عليه وسلم ، وسبق الأصحاب جميعاً فى الانقطاع ومداومة الملازمة، وسبق الجميع فى قوة ومتانة حفظه فاستحق بذلك أن يقول عنه النبى صلى الله عليه وسلم (سبقكم بها الغلام الدوسى) .

وإن هذا يذكرنا بعُكَّاشة بن مِحْصَن رضى الله عنه حين أخبر النبى صلى الله عليه وسلم أن سبعين ألفًا من المسلمين يدخلون بغير حساب فقال عكاشة : ادع الله أن أكون منهم يا رسول الله . فقال النبى صلى الله عليه وسلم : (أنت منهم) فقال آخر : ادع الله أن أكون منهم يا رسول الله فقال النبى صلى الله عليه وسلم : سبقك بها عُكَّاشة بن مِحْصَن .. فلا شك أن ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء .

سؤال وجواب

* ثم قد يسأل سائل ألم يكن من الأجدر ونحن نعرف فقر أبى هريرة رضى الله عنه وحاجته الشديدة أن يدعوا الله أن يغنيه من فضله ؟ فلو فعل لما لامه أحد، فليس بمستنكر فى دين الله أن يسأل الإنسان ربه من فضله العظيم.

لكن أبا هريرة رضى الله عنه شغله ما هو خير من المال، وما هو خير من الجاه، وما هو خير من حطام الدنيا جميعاً. شغله بل ملك عليه نفسه أمر التعلم على يدى النبى صلى الله عليه وسلم فسأل الله أن يعلمه علماً لا يُنسى وأمَّن النبى صلى الله عليه وسلم على دعائه. وكأنَّ الحاضرين قد تنبهوا لدعاء أبى هريرة رضى الله عنه وما فيه من الفضل فحاولوا أن يدركوا هذه المنزلة العالية، فبين لهم النبى أنه قد رفعت الأقلام وجفت الصحف .

آية فى حفظه

روى البخاري في التاريخ من حديث محمد بن عمارة بن حزم أنه قعد في مجلس فيه مشيخة من الصحابة بضعة عشر رجلاً فجعل أبو هريرة رضى الله عنه يحدثهم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحديث، فلا يعرفه بعضهم، فيراجعون فيه حتى يعرفوه. فعل ذلك مرارًا، فعرفتُ يومئذٍ أن أبا هريرة أحفظ الصحابة.

وإن هذه الجلسة لمشيخة أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم السابق ذكرها لتذكرنا بموقف الإمام البخارى حين قدم بغداد.

قال الحافظ أبو أحمد ابن عدي كما في تاريخ بغداد ووفيات الأعيان وغيرهما سمعت عدة مشايخ يحكون أن محمد بن إسماعيل البخاري قدم بغداد فسمع به أصحاب الحديث فاجتمعوا وأرادوا امتحان حفظه فعمدوا إلى مائة حديث فقلبوا متونها وأسانيدها وجعلوا متن هذا الإسناد لإسناد آخر وإسناد هذا المتن لمتن آخر ودفعوا إلى عشرة أنفس إلى كل رجل عشرة أحاديث وأمروهم إذا حضروا المجلس أن يلقوا ذلك على البخاري وأخذوا الموعد للمجلس فحضر المجلس جماعة من أصحاب الحديث من الغرباء من أهل خراسان وغيرها ومن البغداديين فلما اطمأن المجلس بأهله انتدب إليه رجل من العشرة فسأله عن حديث من تلك الأحاديث فقال البخاري: "لا أعرفه"، فسأله عن آخر فقال: "لا أعرفه"، فما زال يلقي عليه واحدا بعد واحد حتى فرغ من عشرته والبخاري يقول: "لا أعرفه"، فكان الفهماء ممن حضر المجلس يلتفت بعضهم إلى بعض ويقولون الفهم، ثم انتدب رجل آخر من العشرة وسأله كما سأله الأول والبخاري رحمه الله يجيب بما أجاب به الأول ثم الثالث والرابع حتى فرغ العشرة مما هيأوه من الأحاديث فلما علم البخاري أنهم فرغوا التفت إلى الأول منهم فقال أما حديثك الأول فقلت كذا وصوابه كذا وحديثك الثاني قلت كذا وصوابه كذا والثالث والرابع على الولاء حتى أتى على تمام العشرة فرد كل متن إلى إسناده وكل إسناد إلى متنه وفعل بالآخرين مثل ذلك ورد متون الأحاديث كلها إلى أسانيدها وأسانيدها إلى متونها فأقر له الناس بالحفظ وأذعنوا له بالفضل.

يقول الحافظ ابن حجر رحمه الله معلقا على هذه الحادثة: (ما العجب من رده الخطأ إلى الصواب فإنه كان حافظا، بل العجب من حفظه للخطأ على ترتيب ما ألقوه عليه من مرة واحدة).

إن الأئمة الأعلام لا يشتهرون إلا إذا كان لديهم من ملكات وقدرات تبهر غيرهم. وإلا كيف يشتهرون على مر الأزمان؟!! وكما يقول الله تعالى (ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ)[٣٦] .

ولقد كان أبو هريرة رضى الله عنه مبهراً فى حفظه فقد ذكر الحافظ ابن حجر فى الإصابة عن أبي الزعيزعة كاتب مروان قال: (أرسل مروان إلى أبي هريرة فجعل يحدثه، وكان أجلسني خلف السرير أكتب ما يحدث به حتى إذا كان في رأس الحول أرسل إليه فسأله، وأمرني أن أنظر، فما غير حرفا عن حرف).

وقد عرف الصحابة هذه المزية لأبى هريرة رضى الله عنه ومَنْ جاء بعدهم من الأئمة : فهذا عبد الله بن عمر رضى الله عنهما يقول له : (إنْ كنتَ لألزمنا لرسول الله صلى الله عليه وسلم وأعرفنا بحديثه).

والإمام الشافعى يقول : (أبو هريرة أحفظ من روى الحديث فى عصره).

وقال الإمام البخارى : روى عن أبى هريرة رضى الله عنه نحواً من ثمانمائة أو أكثر من الصحابة والتابعين وأهل العلم .

قالوا عنهم أن كل واحد منهم – من الثمانمائة – جبل من جبال العلم.

وهكذا كان أبو هريرة رضى الله عنه مدرسة كبيرة كتب لها البقاء والخلود ساعده فى ذلك طول الملازمة، وعدم الشواغل الدنيوية، وقلة تكاليف الحياة والتفرغ للعلم والفتيا والتعليم وعدم الاشتغال بشئون السياسة وتأخر الوفاة.

ولا خلاف فى أنه لم يكن أفضل الصحابة وإن كان أحفظهم.

فقد روى الأعمش عن أبى صالح قال : كان أبو هريرة رضى الله عنه من أحفظ أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يكن بأفضلهم .

---

(٣٦) سورة المائدة آية ٥٤

خذ مثلاً قلة روايات أبى بكر الصديق رغم طول ملازمته للنبى صلى الله عليه وسلم فقد مات أبو بكر بعد عامين وعدة أشهر فقط من وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم فلم تتح له الفرصة لكى يحدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم كما أتيحت الفرصة لأبى هريرة رضى الله عنه الذى توفى بعد ذلك بكثير ما يقارب خمسين عاما بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم .

كما إن أبا بكر كان معاصروه من الصحابة الذين حضروا أحداث رسول الله صلى الله عليه وسلم فكانوا عارفين بأحوال رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يكونوا فى حاجة لسماعها من أحد سواء أكان أبى بكر رضى الله عنه أو غيره .

أما أبو هريرة رضى الله عنه فقد عمّر ما يقارب خمسين عاما بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم فعاصره رجال من التابعين فى حاجة لمعرفة أحداث الإسلام وأحوال الرسول صلى الله عليه وسلم فوجدوا بغيتهم فى المعمرين الحفاظ من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وهنا كانت مهمة أبى هريرة رضى الله عنه وسر من أكبر أسرار كثرة أحاديثه.

إسلام أمه وبره بها

كانت أمه ترفض الإسلام. وذات يوم أسمعت أبا هريرة رضى الله عنه فى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يكرهه فانفض عنها باكياً محزوناً وذهب إلى مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم . يقول أبو هريرة رضى الله عنه : كنت أدعو أمي إلى الإسلام وهي مشركة ، فدعوتها يوما فأسمعتني في رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أكره ، فأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا أبكي ، قلت : يا رسول الله ، إني كنت أدعو أمي إلى الإسلام ، فتأبى علي ، فدعوتها اليوم فأسمعتني فيك ما أكره ، فادع الله أن يهدي أم أبي هريرة ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " اللهم اهد أم أبي هريرة " . فخرجت مستبشرا بدعوة نبي الله صلى الله عليه وسلم فلما جئت فصرت إلى الباب فإذا هو مجاف فسمعت أمي خشف قدمي ، فقالت : مكانك يا أبا هريرة ، وسمعت خضخضة الماء ، فاغتسلت ، ولبست درعها ، وعجلت عن خمارها ففتحت الباب ، ثم قالت : يا أبا هريرة ، أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا عبده ورسوله ، قال : فرجعت إلى رسول الله

صلى الله عليه وسلم فأتيته وأنا أبكي من الفرح ، قال : قلت : يا رسول الله ، أبشر قد استجاب الله دعوتك وهدى أم أبي هريرة ، فحمد الله ، وقال : " خيرا " ، قال : قلت : يا رسول الله ، ادع الله يحببني أنا وأمي إلى عباده المؤمنين ويحببهم إلينا ، قال : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " اللهم حبب عبيدك هذا ، يعني أبا هريرة وأمه ، إلى عبادك المؤمنين ، وحبب إليهم المؤمنين " . فما خلق مؤمن يسمع بي ، ولا يراني إلا أحبني[٣٧].

إسناد النبى صلى الله عليه وسلم وكالة الزكاة إليه

كان النبى صلى الله عليه وسلم يختار من يقوم على مصالح المسلمين وخاصة أموال الصدقات والزكاة بعناية شديدة. وقد كان بعض أصحابه يطلبون منه أن يوليهم أمراً من أمور المسلمين ، فكان النبى صلى الله عليه وسلم يرفض أن يولى الأمر من طلبه .

وقد أوكل النبى صلى الله عليه وسلم لأبى هريرة رضى الله عنه حفظ الطعام المجتمع من الزكاة ، وما ذلك إلا ثقة به وإرادة الخير له .

فعن أبى هريرة رضي الله عنه قال وكلني رسول الله صلى الله عليه وسلم بحفظ زكاة رمضان فأتاني آت فجعل يحثو من الطعام فأخذته وقلت والله لأرفعنك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إني محتاج وعلي عيال ولي حاجة شديدة قال فخليت عنه فأصبحت فقال النبي صلى الله عليه وسلم يا أبا هريرة ما فعل أسيرك البارحة قال قلت يا رسول الله شكا حاجة شديدة وعيالا فرحمته فخليت سبيله قال أما إنه قد كذبك وسيعود فعرفت أنه سيعود لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم إنه سيعود فرصدته فجاء يحثو من الطعام فأخذته فقلت لأرفعنك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال دعني فإني محتاج وعلي عيال لا أعود فرحمته فخليت سبيله فأصبحت فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم يا أبا هريرة ما فعل أسيرك قلت يا رسول الله شكا حاجة شديدة وعيالا فرحمته فخليت سبيله قال أما إنه قد كذبك وسيعود فرصدته الثالثة فجاء يحثو من الطعام فأخذته فقلت لأرفعنك إلى رسول الله وهذا آخر ثلاث مرات أنك تزعم لا تعود ثم تعود قال دعني أعلمك كلمات ينفعك الله بها قلت ما هو قال إذا أويت إلى فراشك فاقرأ آية الكرسي الله لا

(٣٧) صحيح مسلم – كتاب فضائل الصحابة – باب من فضائل أبى هريرة الدوسى حديث رقم (٢٤٩١).

إله إلا هو الحي القيوم حتى تختم الآية فإنك لن يزال عليك من الله حافظ ولا يقربنك شيطان حتى تصبح فخليت سبيله فأصبحت فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم ما فعل أسيرك البارحة قلت يا رسول الله زعم أنه يعلمني كلمات ينفعني الله بها فخليت سبيله قال ما هي قلت قال لي إذا أويت إلى فراشك فاقرأ آية الكرسي من أولها حتى تختم الآية الله لا إله إلا هو الحي القيوم وقال لي لن يزال عليك من الله حافظ ولا يقربك شيطان حتى تصبح وكانوا أحرص شيء على الخير فقال النبي صلى الله عليه وسلم أما إنه قد صدقك وهو كذوب تعلم من تخاطب منذ ثلاث ليال يا أبا هريرة قال لا قال ذاك شيطان(٣٨).

مدة مصاحبة النبى صلى الله عليه وسلم

صحب أبو هريرة رضي الله عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم من يوم مقدمه المدينة إلى وفاة النبى صلى الله عليه وسلم وهى مدة قدَّرها العلماء بثلاثة أعوام وأشهر أى ما يقارب أربعة أعوام . فما وجه الغرابة فى كثرة رواية سيدنا أبى هريرة رضي الله عنه مع حداثة صحبته بالنسبة لغيره مع أن السنوات الثلاث أو الأربع ليست بالزمن القصير فى عمر الصحبة ؟

وليس ذلك ببدع فى العقل ولا العادة ، فكم من شخص قد يجمع فى الزمن القليل ما لا يجمعه غيره فى أضعافه من الزمن، ومع الذكاء والإقبال على العلم والتفرغ من الشواغل الدنيوية، كل ذلك يساعد على الإكثار مع الجمع والتحصيل.

وإنا لنجد فى عصورنا المتأخرة بعض التلاميذ والمريدين الذين لازموا أساتذتهم وشيوخهم مدة وجيزة يقيدون عنهم الكتب والمجلدات ويحفظون عن ظهر قلب من كلامهم ما يربو على ما حفظه أبو هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وذلك فرق ما بين عصرنا وعصرهم، وما بينهم وبين أبى هريرة رضي الله عنه من جهة التفرغ والاستعداد وتكاليف الحياة .

---

(٣٨) صحيح البخارى – كتاب الوكالة .

إن مجموع أحاديث أبى هريرة رضي الله عنه كلها ٥٣٧٤ حديثًا (خمسة ألاف وثلاثمائة وأربعة وسبعون حديثًا) الكثير منها لا يبلغ السطرين والثلاثة . ولو جُمعت لما زادت عن جزءٍ فأى غرابة فى هذا ؟!

وقد كانت المدة التى قضاها أبو هريرة رضي الله عنه فى مصاحبة النبى صلى الله عليه وسلم عمرًا آخرًا لأبى هريرة رضي الله عنه.

وفى عصرنا معظم الكليات الجامعية اليوم يتخرج منها أبناؤها بعد أربع سنوات يتخللها أجازات طويلة لمدة أشهر عديدة. نقول يتخرج هؤلاء الطلاب من هذه الجامعات وقد أتقنوا أصول العلم الذى ذهبوا لتعلمه. مثل كلية التجارة أو الحقوق أو العلوم أو التربية أو كليات الدراسات الإسلامية... وغيرها

وإن النابهين منهم ليبرعون فى هذا العلم بما قد يبهر الأساتذة أنفسهم .

وكما بيَّنا أن أبا هريرة رضي الله عنه كان رجلاً لا إربَ له فى الدنيا وكان راضيًا بالشيئ اليسير، ولم يكن له من الأهل أو الولد أو التجارة أو الزراعة أو الصناعة ما يشغله. فكان همُّه وشغلُه الشاغل ملازمةَ الرسول صلى الله عليه وسلم والأخذَ عنه راضيًا بشظف الحياة وأقل قليلها. وألقى الله فى قلبه الحب والتعلق بهذا العلم فصار لا يشغله عنه شاغل ولا يصرفه عنه صارف.

عن أبي هريرة رضى الله عنه ، قال : (إن الناس يقولون : أكثر أبو هريرة ، والله لولا آيتان في كتاب الله ما حدثت حديثا ، ثم يتلو : " إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ. إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنُوا فَأُولَئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ "[٣٩] ويقول على أثر الآيتين: إن إخواننا من الأنصار كان يشغلهم العملُ في أموالهم ، وإن إخواننا من المهاجرين كان يشغلهم الصفق بالأسواق ، وإن أبا هريرة كان يلزم رسول الله صلى الله عليه وسلم لشبع بطنه ، ويحضر ما لا يحضرون ، ويحفظ ما لا يحفظون)[٤٠] .

---

(٣٩) سورة البقرة آية ١٥٩ – ١٦٠ .

(٤٠) السنن الكبرى للنسائى – كتاب العلم – حفظ العلم حديث رقم (٥٦٦٤).

خمسون عامًا
بعد وفاة الرسول

٥٠ عامًا بعد وفاة الرسول

تُوفى رسول الله صلى الله عليه وسلم ورحل إلى جوار ربه بعد ما أشهد الله على العالمين أنه بلغ رسالة الله وأدى أمانة ربه .

وأوصى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم المسلمين بأن يسيروا على سنته وهديه فقال صلى الله عليه وسلم : (تركتُ فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدى أبدًا : كتاب الله وسنتى)[٤١] .

وهى وصية جامعة ، كوصية أب أراد أن يترك أولاده على جادة الطريق وهو مشفقٌ عليهم من الحياة وشدائدها من بعده .

وعَلِمَ الأصحابُ رضوان الله عليهم أن القرآن الكريم وسنة النبى صلى الله عليه وسلم هما المادة المراد تبليغها.

أما القرآن الكريم (الجزء الأول من مادة البلاغ) :

فقد نشطوا فى جمعه ، واحتاطوا أشد الحيطة وحذروا أشد الحذر من أن يدخل فى القرآن ما ليس منه أو يُنتقص شيئ منه. لذا اشترطوا شروطًا غايةً فى الدقة. ومع حفظهم فى الصدور لآيات القرآن الكريم إلا إنهم لم يسجلوا أى آية فى كتاب الله إلا إذا أتى شاهدان من الصحابة ومع كل واحد منهما مكتوب يثبت الآية .

وبذلك تمَّ لهم ما أرادوا فحفظ الله على المسلمين كتاب ربهم.

وما من شك أن القرآن الذى بين أيدينا اليوم هو نفسه الذى نزل به الوحى على رسول الله صلى الله عليه وسلم .

نُقل إلينا بأعلى درجات التواتر وهو نقل الكافة عن الكافة[٤٢].

مما جعل أعداءُ الإسلام قبل الأصدقاء ينحنون إكباراً وخضوعًا يقول السير وليم ميور وقد عُرف وليم هذا بتحامله على الإسلام وعلى النبى محمد صلى الله عليه وسلم قال :

(لم يمضْ على وفاة محمد قرن حتى نشأت منازعات عنيفة ، وقامت طوائف ، وقد ذهب عثمان ضحية هذه الفتن ، ولا تزال هذه الخلافات قائمة ، ولكن القرآن ظل كتاب هذه

---

(٤١) رواه مالك فى الموطأ وأحمد فى مسنده.

(٤٢) أى نقله كل المسلمين على مر الأجيال عن سابقيهم لا يشذ عن ذلك مسلم .

الطوائف الوحيد ، إذ أن اعتماد هذه الطوائف جميعاً على هذا الكتاب تلاوة برهان ساطع على أن الكتاب الذى بين أيدينا اليوم هو الصحيفة التى أمر الخليفة المظلوم بجمعها وكتابتها فلعله الكتاب الوحيد الذى بقى نصه محفوظاً من التحريف ألف ومائتى سنة)[٤٣].

وصدق الله تعالى إذ يقول : (إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ)[٤٤].

أما عن السنة النبوية (الجزء الثانى من مادة البلاغ) :

فقد علموا أهميتها وأنها الشارحة لكتاب الله. فالقرآن الكريم أمر بالصلاة والزكاة والصيام والحج . لكن كيف يؤدى الناس هذه الفرائض؟

لم يبين القرآن ذلك. ولكن بينتها السنة النبوية المطهرة، كما نص القرآن الكريم على ذلك فقال تعالى: (وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ)[٤٥].

بل إن السنة المطهرة جاءت بأحكام سكت عنها القرآن الكريم كحد الزانى المتزوج وهو الرجم، وكتحريم أكل لحوم الحُمُر الأهلية، وكتحريم أن يجمع الرجل بين المرأة وعمتها ... وغيرها بما لا يُحصى. قال تعالى: (وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ)[٤٦].

بل إن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم وسيرته وأحواله وهديه قدوةٌ لكل مسلم، كما بين الله تعالى ذلك فقال : (لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا) [٤٧].

فكيف نطيع رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكيف نتبع أوامره ونقتفى أثره وسنته إذا لم يكن هناك سنة واردة للمسلمين فيها تفاصيل سنته وهديه وطريقته صلى الله عليه وسلم ؟!

وقد نقلوا سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم فى كل شيئ من مولده وحتى قبل أن يولد. مَنْ زوجاته؟ ومَنْ أولاده؟ ومَنْ أصحابه؟ وما سيرة كل واحد منهم؟

وما معرفتُنا لأبى هريرة ولا الاهتمام به إلا لمصاحبته للنبى صلى الله عليه وسلم .

---

(٤٣) كتاب حياة محمد لمؤلفه السير وليم ميور ص ٢٣٣
(٤٤) سورة الحجر آية ٩ .
(٤٥) سورة النحل آية ٤٤.
(٤٦) سورة الحشر آية ٧
(٤٧) سورة الأحزاب آية ٢١

كما نقلوا عن النبى صلى الله عليه وسلم ماذا كان يحب ؟ وكيف كان يتصرف فى كل أمر من أمور حياته ؟ وكيف كان يقضى يومه من وقت يستيقظ حتى نومه ؟ وسجلوا أقواله وأفعاله وتقريراته وصفته وهديه .

ونقلوا سلمه وحربه وغزواته ما أسبابها ما دوافعها وما نتائجها ، بل ومَنْ قتلى المعارك التى خاضها سواءً من أتباعه أم من أعدائه.

وإنك لتدخل المكتبة الإسلامية اليوم فتجدها ذاخرة بالمجلدات والكتب التى تناولت أخلاقيات محمد صلى الله عليه وسلم وصفاته ومعاملاته وهديه وآدابه فى الدنيا والآخرة. مما يقدم للمسلم قدوة يقتدى بها فى أى أمر من أموره أيًّا كان موقعه.

ولم يتوافر ذلك لأى رسول ولا قائد ولا زعيم على مر العصور، مما يجعلنا نجزم أن هذا أمر قدره الله لحفظ سنة النبى الخاتم، ليكون الناس على بصيرة ، لأن بموته صلى الله عليه وسلم لن تتفتح السماء لينزل منها رسالات أخرى.

وقد قام بهذا العمل العظيم ألافٌ من الصحابة والعديدُ من الزوجات داخل بيته. ولم يكن محمد صلى الله عليه وسلم منعزلاً عن الحياة بل كان متفاعلاً معها يؤثر فيها ويعدل فيها.

وقد استطاع صلى الله عليه وسلم أن يغير فى فترة وجيزة من حياته ما يعجز عنه جموع المصلحين كما قال ذلك مايكل ألبرت صاحب كتاب " العظماء مائة أعظمهم محمد" . حيث أراد مايكل ألبرت أن يضع دراسة عن عظماء العالم على مر العصور. ووضع شروطًا ومقاييس فوجدها تنطابق فى كل شرط من الشروط والمقاييس على محمد صلى الله عليه وسلم فأقرَّ بذلك معترفًا وهو على غير ديانة الإسلام.

هذا الوضوح جعل الأعداء قبل الأصدقاء ينحنون إكباراً وخضوعاً لسيرة هذا النبى الكريم . وندع النصوص تتكلم:

يقول جوستاف ليبون : (إذا استثنينا محمداً ، لا نجدنا مطلعين على حياة مؤسس ديانة اطلاعا صحيحاً)(٤٨).

****

(٤٨) حضارة العرب للمستشرق جوستاف ليبون .

منهج الصحابة لحفظ السنة

تحقق للصحابة رضوان الله عليهم ما أرادوه من حفظ سنة نبيهم صلى الله عليه وسلم ، وذلك بقواعد وضعوها نذكرها على سبيل الإجمال كالتالى :

أولا : التثبت فى الرواية والتشدد فى قبولها.

ثانيًا : الجد والاجتهاد والنشاط فى جمع وتبليغ سنة نبيهم .

ثالثًا : الرحلة فى طلب الحديث .

رابعًا : عرض حديث الراوى على رواية غيره وعلى ثوابت منهج الإسلام.

هذه القواعد المجملة نلمحها فى تصرفات وطريقة الصحابة فى قبول الرواية ، بل إنهم منعوا الرواية إلا عن متقن متثبت.

وتبنى هذا المنهج أول من تبنى أبو بكر وعمر، وإلا فهما ومعهم الصحابة يعرفون أحداث الإسلام وسيرة نبيهم وقد عايشوها بأنفسهم. فلا مجال لروايات خاصة أو شاذة عمَّا يعرفونه. أما ما جدَّ عليهم من أحداث فقد كان الخليفة يطلب من كل مَنْ سمع من رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئًا فى ذلك أن يخبره به .

* ومثال ذلك : حادثة الطاعون فى عصر عمر بن الخطاب رضى الله عنه :

فعن عبد الله بن عباس أن عمر بن الخطاب خرج إلى الشام ، حتى إذا كان بسرغ لقيه أمراء الأجناد أبو عبيدة بن الجراح وأصحابه ، فأخبروه أن الوباء قد وقع بأرض الشام قال ابن عباس، فقال عمر بن الخطاب : ادع لي المهاجرين الأولين، فدعاهم فاستشارهم ، وأخبرهم أن الوباء قد وقع بالشام ، فاختلفوا ، فقال بعضهم : قد خرجت لأمر ولا نرى أن ترجع عنه ، وقال بعضهم : معك بقية الناس وأصحاب رسول الله – صلى الله عليه وسلم – ، ولا نرى أن تقدمهم على هذا الوباء ، فقال عمر : ارتفعوا عني ، ثم قال : ادع لي الأنصار فدعوتهم فاستشارهم ، فسلكوا سبيل المهاجرين ، واختلفوا كاختلافهم ، فقال : ارتفعوا عني ، ثم قال : ادع لي من كان هاهنا من مشيخة قريش ، من مهاجرة الفتح ، فدعوتهم فلم يختلف عليه منهم اثنان ، فقالوا : نرى أن ترجع بالناس ولا تقدمهم على هذا الوباء ، فنادى عمر في الناس : إني مصبح على ظهر ، فأصبحوا عليه، فقال أبو عبيدة ، أفراراً من قدر الله ؟ فقال عمر : أو غيرك قالها يا أبا عبيدة ؟ نعم ، نفر من قدر الله إلى

قدر الله، أرأيت لو كان لك إبل فهبطت واديا له عدوتان ، إحداهما مخصبة والأخرى جدبة ، أليس إن رعيت الخصبة رعيتها بقدر الله ؟ وإن رعيت الجدبة رعيتها بقدر الله ؟
فجاء عبد الرحمن بن عوف وكان غائبا في بعض حاجته ، فقال : إنَّ عندي من هذا علما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : " إذا سمعتم بالطاعون بأرض فلا تقدموا عليه : وإذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا فرارا منه " قال فحمد الله عمر ، ثم انصرف(٤٩).

فعمر هنا يجمع الناس لعل أحداً من الصحابة قد سمع شيئًا لم يسمعه فى أمر جديد عليهم وهو الطاعون. أما ما هو ثابت ومستفيض فلماذا يُسأل عنه؟

* والحق أن الصحابة رضوان الله عليهم قد نشطوا نشاطًا عجيبًا لجمع وتبليغ الأحاديث التى كانوا قد سمعوها أو كتبوها عنه صلى الله عليه وسلم.

* يقول ابن عباس رضى الله عنهما : (إن كان ليبلغنى الحديث عن الرجل ، فآتى إليه وهو قائل(٥٠) فى الظهيرة ، فأتوسد ردائى على بابه ، يَسْفى الريح علىَّ من التراب، حتى ينتهى من مقيله ، ويخرج فيرانى ، فيقول : يا ابن عم رسول الله ما جاء بك ؟ هلا أرسلت إلىَّ فآتيك ؟ فأقول : لا ، أنت أحق آتيك فأسأله عن الحديث)(٥١). وبذلك كانوا يحفظون الأحاديث بملابسات حفظها .

* ومن ذلك : ما رواه الإمام أحمد عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أنه قال : (بلغني حديث عن رجل سمعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم فاشتريت بعيرا، ثم شددت عليه رحلي ، فسرت إليه شهراً حتى قدمت عليه الشام، فإذا عبد الله بن أنيس ، فقلت للبواب : قل له : جابر على الباب. فقال : ابن عبد الله، قلت : نعم ، فخرج يطأ ثوبه ، فاعتنقني واعتنقته ، فقلت : حديثا بلغني عنك أنك سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم في القصاص ، فخشيت أن تموت أو أموت قبل أن أسمعه ، فقال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يقول : " يُحشر الله الناس يوم القيامة ، أو قال : العباد عراة ، غرلا، بهما ، قال: قلنا : وما " بهما " ؟ قال : ليس معهم شيء ، ثم يناديهم

---

(٤٩) موطأ مالك حديث رقم (١٦٥٦) .
(٥٠) قائل : من القيلولة .
(٥١) المستدرك على الصحيحين وقال صحيح على شرط البخارى حديث رقم (٣٧٠).

بصوت يسمعه من بعد ، كما يسمعه من قرب : أنا الملك ، أنا الديان ، لا ينبغي لأحد من أهل النار، أن يدخل النار وله عند أحد من أهل الجنة حق ، حتى أقصه منه ، ولا ينبغي لأحد من أهل الجنة أن يدخل الجنة ، ولأحد من أهل النار عنده حق ، حتى أقصه منه حتى اللطمة ، قلنا : كيف وإنما نأتي الله عراة ، غرلا ، بهما ؟ قال : بالحسنات والسيئات)[٥٢].

* ورحل أبو أيوب الأنصاري إلى عقبة بن عامر يسأله فقال له: حدِّثْنا ما سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يبق أحد سمعه، قال : سمعت النبى صلى الله عليه وسلم يقول : (من ستر على مؤمن في الدنيا ستره الله يوم القيامة) ، فأتى راحلته فركب ثم رجع[٥٣].

* وكانوا يطابقون الروايات على ما هو ثابت ومستقر عندهم مثل ما كان يفعل عمر بن الخطاب بقوله لا ندع كتاب ربنا وسنة نبينا لقول امرأة ذكرت أو نسيت. ومثل ما كانت تفعله عائشة فى استدراكاتها على الصحابة .

---

(٥٢) رواه الإمام أحمد فى مسنده – مسند جابر بن عبد الله .
(٥٣) رواه الإمام أحمد فى مسنده .

مواقف الخلفاء الأربعة فى التثبت من الرواية

(والتى يظهر فيها قوانين وقواعد الرواية فى عهد الصحابة)

* كان الخليفة الراشد أبو بكر الصديق رضى الله عنه أول مَنْ احتاط فى قبول الأخبار: فعن قبيصة بن ذؤيب أنه قال : (جاءت الجدة إلى أبي بكر الصديق تسأله ميراثها، فقال لها أبو بكر : ما لك في كتاب الله شيء ، وما علمت لك في سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا . فارجعي حتى أسأل الناس ، فسأل الناس. فقال : المغيرة بن شعبة : حضرت رسول الله – صلى الله عليه وسلم – أعطاها السدس: فقال أبو بكر: هل معك غيرك ؟ فقام محمد بن مسلمة الأنصاري ، فقال مثل ما قال المغيرة ، فأنفذه لها أبو بكر الصديق ، ثم جاءت الجدة الأخرى إلى عمر بن الخطاب تسأله ميراثها. فقال لها : ما لك في كتاب الله شيء ، وما كان القضاء الذي قضي به إلا لغيرك وما أنا بزائد في الفرائض شيئا ولكنه ذلك السدس، فإن اجتمعتما فهو بينكما وأيتكما خلت به فهو لها) [٥٤].

فهذا الأثر يبين تثبت الخليفة الأول أبى أبكر الصديق رضى الله عنه فى قبول الأحاديث والرواية إذ الأصل بقاء الشيئ على ما هو مستفيض ومعلوم .

* أما الفاروق عمر بن الخطاب رضى الله عنه فقد شدَّد وهدَّد فى قبول الرواية ، يقول الإمام الذهبى فى ترجمة عمر وهو الذي سنَّ للمحدثين التثبت في النقل ، وربما كان يتوقف في خبر الواحد إذا ارتاب ، فروى الجُرَيري – يعني سعيد بن إياس – عن أبي نضرة عن أبي سعيد أن أبا موسى سَلَّم على عمر من وراء الباب ثلاث مرات ، فلم يؤذن له ، فرجع ، فأرسل عمر في أثره ، فقال : لمَ رجعتَ ؟ قال: سمعتُ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : (إذا سلم أحدكم ثلاثًا فلم يُجَب فليرجع) ، قال : لتأتيني على ذلك ببينة أو لأفعلن بك ، فجاءنا أبو موسى منتقعًا لونه ونحن جلوس ، فقلنا : ما شأنك ؟ ، فأخبَرنا ، وقال : فهل سمع أحد منكم ؟ فقلنا : نعم ، كلنا سمعه ، فأرسلوا معه رجلاً منهم حتى أتى عمر فأخبره)[٥٥].

---

(٥٤) موطأ مالك حديث رقم (١٠٤٩) .

(٥٥) سير أعلام النبلاء للإمام الذهبى – ترجمة عمر بن الخطاب .

وعند مالك فى الموطأ : (فقالوا لأبي سعيد الخدري : قم معه ، وكان أبو سعيد أصغرهم ، فقام معه ، فأخبر ذلك عمر بن الخطاب ، فقال عمر لأبي موسى مبيناً العلة وحتى لا يأتى متقول يتهم الصحابة بعد ذلك : أما إني لم أتهمك ، ولكني خشيت أن يتقول الناس على رسول الله – صلى الله عليه وسلم . –)[٥٦].

* وأما الخليفة الراشد عثمان بن عفان رضى الله عنه فكان يتحرى العمل بسنة النبى صلى الله عليه وسلم وبما قضى به بين الناس ، وربما قضى بقضاء فإذا بلغه سنة النبى صلى الله عليه وسلم رجع إليها ، فلم يكن عنده علم بأن المتوفَّى عنها زوجها تَعْتَدُّ فى بيت الموت حتى حدثته الفُريعة بنت مالك رضى الله عنها بقضيتها لما تُوفِّى عنها زوجها وأن النبى صلى الله عليه وسلم قال لها : (امكثى حتى يبلغ الكتاب أجله)[٥٧].

ولا شك أن الرواية السابقة تدل على أن المرأة تتحدث عن قضية حدثت معها بقرائنها وملابساتها ، وهى أدعى للقبول عند رجلٍ عاقلٍ مثل الخليفة عثمان .

* أما الخليفة الراشد على بن أبى طالب رضى الله عنه فبيَّن بنفسه كمثال كيف كان الصحابة يتثبتون فى الرواية بطرق مختلفة . فمنهم من كان يطلب من الراوى ذكر ملابسات الحديث ، ومنهم من كان يُحلِّف الراوى وغير ذلك حتى تطمئن نفسه لحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم . وندع النصوص تتكلم : يقول على بن أبى طالب رضى الله عنه : كنت إذا سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثا نفعني الله به بما شاء أن ينفعني ، فإذا حدثني غيره استحلفته أنه سمعه منه ، ثم صدقته ، فحدثني أبو بكر وصدق أبو بكر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : (ما من عبد يذنب ذنبا ، ثم يتوضأ ويصلي ركعتين ، ثم يستغفر الله إلا غفر له) ، ثم تلا هذه الآية : " وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ"[٥٨].

والآية الأخرى: "وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا"[٥٩])[٦٠].

---

(٥٦) موطأ مالك حديث رقم (١٧٩٨).
(٥٧) أخرجه أصحاب السنن وصححه الترمذى وابن حبان والحاكم وغيرهم .
(٥٨) سورة آل عمران آية ١٣٥.
(٥٩) سورة النساء آية ١١٠.
(٦٠) رواه أحمد وأبو داود والترمذى وابن ماجة. وقال ابن حجر جيد الإسناد.

وبذلك وضع الصحابة قواعد علم الرواية التى امتازت به المرجعية العليا للإسلام عن غيرها من الأديان الأخرى. لذا قال إمام التابعين سيدنا عبد الله بن المبارك رضى الله عنه: (الإسناد من الدين. ولولا الإسناد لقال مَنْ شاء ما شاء)[٦١].

وما تم من حفظ السنة هو تدبير من الله العزيز العليم لحفظ كتابه وشريعته التى لا يمكن بحال من الأحوال أن تحفظ إلا بحفظ السنة.

فالقرآن مثلاً يقول (وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ)[٦٢] لكن كيف نصلى ؟ وكم عدد ركعات العشاء مثلا؟ وما الركعات التى يُجهر فيها ؟ وما الركعات التى يُسر فيها ؟ كل هذا لم يرد فى القرآن ولكن وضحته السنة المطهرة.

لذا فمعنى أن القرآن محفوظ يشمل أموراً ثلاثة:

أولا : حفظ القرآن كنص .

ثانيًا : حفظ اللغة التى يُقرأ بها ، وإلا صار القرآن طلاسم لا معنى لها .

ثالثًا : حفظ السنة النبوية فهى المبينة لمعانيه وإلا صار القرآن مبهماً.

السنة النبوية والرجل الشبعان

ورغم هذا الحفظ للسنة ، ورغم أهميتها ومكانتها وأن القرآن لا يُفهم بدونها ، رغم ذلك كله تنبأ رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يأتى أناسٌ متبعين لشهواتهم يحاولون التملص من الإسلام ولكن بطريقة ملتوية فيقولون نقبل القرآن ولا نقبل السنة .

فعن المقدام بن معدي كرب رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : (ألا إني أوتيت الكتاب ومثله معه ألا يوشك رجل شبعان على أريكته يقول عليكم بهذا القرآن فما وجدتم فيه من حلال فأحلوه وما وجدتم فيه من حرام فحرموه . ألا لا يحل لكم لحم الحمار الأهلي ولا كل ذي ناب من السبع ولا لقطة معاهد إلا أن يستغني عنها صاحبها ومن نزل بقوم فعليهم أن يقروه فإن لم يقروه فله أن يعقبهم بمثل قراه)[٦٣].

فبيَّن رسولُ الله صلى الله عليه وسلم أن السنةَ مع القرآن كلاهما وحىٌ منزل واجب الإتباع .

---

(٦١) نقل العبارة الإمام مسلم فى مقدمة صحيحه .

(٦٢) سورة النور آية ٦٠.

(٦٣) سنن أبى داود – كتاب السنة – باب فى لزوم السنة حديث رقم (٤٦٠٤).

ثم أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم بأمثلة لم يرد حكمها فى القرآن الكريم وضرب أمثلة على ذلك :

(لحم الحمار الأهلى – المفترس من الحيوان – اللقطة – الضيافة)

وذلك لِيُعلم المؤمنين على مر الأجيال كيف يُفحمون أمثال هذا الرجل الشبعان المتبع لغرائزه وبطنه المنكر لسنته صلى الله عليه وسلم.

****

دور أبى هريرة فى حفظ السنن

وعلى شوق نعود مرة أخرى إلى أبى هريرة رضى الله عنه بصفة خاصة . فقد بان لك رحلته إلى النبى صلى الله عليه وسلم وملازمته له وحرصه الدائم على التعلم ، ولسانه السؤول وقلبه العقول ، وتحوطه فى الحفظ . يبارك ذلك كله دعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم له بعدم النسيان.

وقد لخص أبو هريرة رضى الله عنه ذلك بنفسه فقال : (قدمت والله ورسول الله صلى الله عليه وسلم بخيبر سنة سبع ، وأنا يومئذ قد زدت على الثلاثين سنة سنوات ، وأقمت معه حتى توفي ، أدور معه في بيوت نسائه وأخدمه ، وأنا والله يومئذ مقل ، وأصلي خلفه وأغزو وأحج معه ، فكنت والله أعلم الناس بحديثه ، قد والله سبقني قوم – بصحبته والهجرة – من قريش والأنصار ، فكانوا يعرفون لزومي له ، فيسألوني عن حديثه ، منهم عمر وعثمان وعلي وطلحة والزبير ، فلا والله ما يخفى علي كل حدث كان بالمدينة ، وكل من أحب الله ورسوله ، وكل من كانت له عند رسول الله صلى الله عليه وسلم منزلة ، وكل صاحب له ، فكان أبو بكر صاحبه في الغار ، وغيره قد أخرجه رسول الله صلى الله عليه وسلم من المدينة أن يساكنه)[٦٤].

* أما بعد وفاة النبى الكريم صلى الله عليه وسلم وجد أبو هريرة رضى الله عنه نفسه مُحَمَّلاً بأمانة ثقيلة ، فعنده علم لا ينسى وحفظ ثابت لا يتغير وهو لا يحدث رغبة فى أن يتحدث بل لأمانة التبليغ وإلا كان كاتماً للعلم فيقول رضى الله عنه: (إن الناس يقولون أكثر أبو هريرة ولولا آيتان في كتاب الله ما حدثت حديثا ثم يتلو : " إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا

(٦٤) طبقات ابن سعد .

أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ. إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنُوا فَأُولَئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ"[٦٥] إن إخواننا من المهاجرين كان يشغلهم الصفق بالأسواق وإن إخواننا من الأنصار كان يشغلهم العمل في أموالهم وإن أبا هريرة كان يلزم رسول الله صلى الله عليه وسلم بشبع بطنه ويحضر ما لا يحضرون ويحفظ ما لا يحفظون)[٦٦].

* وكان من الطبيعى أن يتحرى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم لرواياته وخاصة أنهم فوجئوا به يكثر من الحديث .

وهم وإن كانوا يعلمون صحبته لرسول الله صلى الله عليه وسلم إلا أنهم خافوا عليه من الخطإ . فقد كانوا يتحرون عن حديث أو حديثين فما لهم لا يتحرون عن آلاف الأحاديث التى يرويها رجل واحد وهو أبو هريرة رضى الله عنه .

لكنهم بعدما اختبروه وجربوه حطوا أجنحتهم لعلمه. وإليك مواقف كل الصحابة الذين تكلموا فى مرويات أبى هريرة :

موقف عمر بن الخطاب من أبى هريرة

كان عمر بن الخطاب رضى الله عنه يتمتع بميزات تتضافر مع بعضها لتُكَوِّن أمامنا رجلاً من طرازٍ فريد. فكان رجلاً متجرداً لما يدين به مع شدةٍ فى طبعه وعقلية كبيرة جعلته عالماً بكليات الشريعة ومعالم الإسلام .

وكان يرفض أن يتكلم أحدُ فى دين الله سبحانه قبل أن يتثبت مما يقول .

فحين حدثته فاطمة بنت قيس رضى الله عنها بحديث رأى فيه أنه يصادم كتاب الله وسنة نبيه تصدى لها وقال قولته الشهيرة : (لا ندع كتاب ربنا وسنة نبينا لقول امرأة لا ندرى ذكرت أم نسيت).

وإن كان النقاد أيدوا قول المرأة لأن من حفظ حجة على من يحفظ ، ولأن احتجاج عمر فى نوع آخر من أنواع الطلاق وهو الطلاق الرجعى غير الطلاق التى تتحدث عنه فاطمة بنت قيس إذ إنها تتحدث عن طلاق المبتوتة.

---

(٦٥) سورة البقرة آية ١٥٩ – ١٦٠ .

(٦٦) صحيح البخارى – كتاب العلم – باب حفظ العلم حديث رقم (١١٨).

وما فعله عمر مع فاطمة بنت قيس أو أبى هريرة فعله مع عمار بن ياسر فقد كان هذا التثبت ديدناً لعمر مع كل فضلاء الصحابة فقد جاءه رجل فقال إنى أجنبت فلم أجد ماءً .

فقال : لا تصل ، فقال عمار : أما تذكر يا أمير المؤمنين ، إذ أنا وأنت في سرية، فأجنبنا فلم نجد ماء ، فأما أنت فلم تصل ، وأما أنا ، فتمعكت في التراب وصليت ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : إنما كان يكفيك أن تضرب بيديك الأرض ، ثم تنفخ ، ثم تمسح بهما وجهك ، وكفيك " ، فقال عمر : اتق الله يا عمار ، قال : إن شئت لم أحدث به ، فقال عمر : نوليك ما توليت)[٦٧].

ومعنى "نوليك ما توليت" أى نكل إليك ما قلت، وما يخلصك أمام الله يوم العرض عليه. واستشهد بهذه الواقعة صاحب كتاب رفع الملام عن الأئمة الأعلام على أن الرجل قد يبلغه الحديث ويثبت عنده ثم ينساه، فقال: فهذه سنة شهدها عمر ثم نسيها، حتى أفتى بخلافها وذكَّره عمار فلم يذكر. وهو لم يكذب عماراً بل أمره أن يحدث به وأوكل أمره إلى ديانته وصدق حديثه.

والعلة فى ذلك عند الفاروق عمر أن الحديث ليس ككل كلام من كلام البشر قد يصيب فيه أو يخطئ بل هو دين الله فوجب التثبت قبل التحدث .

فعمر وإن كان يعلم صدق الرجل لكنه يريد منه أن يعلم مدى خطورة الكلمة التى يتكلم بها عن النبى صلى الله عليه وسلم ولذا قال لأبى موسى الأشعرى فى حادثة مشابهة من التحرى والدقة : (أما إنا لم أتهمك، ولكنه الرواية عن رسول الله) .

* وكان عمر بن الخطاب يمنع الصحابة أن يخرجوا من المدينة إلا لضرورة حتى تكون المدينة المنورة مأوى الإسلام تؤول إليه مسائل المسلمين من كل صوب وحدب ويجيب الصحابة على هذه المسائل بفتاوى شبه جماعية من الصحابة .

وإذا اضطرته الضرورة لكى يرسل نفراً من الصحابة إلى مكان ما كان يوصيهم أن ينشروا فى الناس القرآن الكريم والسنن المعروفة ومعالم الإسلام المتفق عليها وألا يشغلوا الناس بالغرائب .

---

(٦٧) صحيح مسلم – كتاب الحيض – باب التيمم حديث رقم (٥٥٨).

فعن قرظة بن كعب قال : خرجنا نريد العراق فمشى معنا عمر بن الخطاب إلى صرار ، فتوضأ ثم قال : " أتدرون لم مشيت معكم ؟ قالوا : نعم نحن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم مشيت معنا ، قال : إنكم تأتون أهل قرية لهم دوي بالقرآن كدوي النحل ، فلا تصدوهم بالأحاديث جودوا القرآن وأقلوا الرواية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم امضوا وأنا شريككم ، فلما قدم قرظة قالوا : حدثنا قال : نهانا عمر بن الخطاب " [٦٨].

قال أبو محمد الدارمى : معناه عندى الحديث عن أيام رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس السنن والفرائض.

فى ضوء ما قدمناه عن تبنى الفاروق لمنهجية التثبت نفهم موقفه مع الصحابى الجليل أبى هريرة رضى الله عنه.

وبعض المغرضين الذين فى قلوبهم مرض ينقل الرواية التالية على أنها هدم لتاريخ أبى هريرة رضى الله عنه كله فيقولون :

أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال لأبى هريرة : (لتتركن الحديث عن رسول الله أو لألحقنك بأرض دوس) أى أرض قومه وأهله .

وهذه الرواية – إن صحت – لا تشكل إتهاماً لأبى هريرة رضى الله عنه بل هو دعم لقوانين وقواعد الرواية عند الخلفاء وخاصة عمر. وإلا لأصبحنا ملزمين باتهام عمار بن ياسر وأبى موسى الأشعرى وقرظة بن كعب وغيرهم من الصحابة الذين استوثق منهم عمر عند تحديثهم .

بل على العكس من ذلك لقد استوثق الفاروق من حفظ أبى هريرة رضى الله عنه ودقته ، فلما اطمأن إلى ما يقول أمره بالتحدث .

فقد قال أبو هريرة رضى الله عنه حين بدأ يكثر من الحديث : أكنت معنا فى مكان كذا ؟ قال : نعم ، سمعت النبى صلى الله عليه وسلم يقول : (من كذب علىَّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار)[٦٩] فقال له عمر : أما ذكرت ذلك فاذهب فحدث[٧٠].

---

(٦٨) كتاب المجروحين لابن حبان - ذكر بعض السبب الذي من أجله منع عمر بن الخطاب الصحابة.

(٦٩) متفق عليه وعده العلماء من الأحاديث المتواترة .

(٧٠) رواه الحافظ الذهبى فى تذكرة الحفاظ.

ولم يكن أبو هريرة رضى الله عنه يختبئ من عمر عند التحدث كما يتقول البعض، بل كان يتحدث أمامه وربما ذهب إلى عمر ليؤكد له حديثًا سمعه من النبى صلى الله عليه وسلم فقد كان عمر فى سفر فهاجت ريح فجعل يقول : " من يحدثنا عن الريح ؟ " قال أبو هريرة رضى الله عنه : فبلغنى وأنا فى أخريات الناس ، فحثثت راحلتى حتى أدركته ، فحدثته بما أمر النبى صلى الله عليه وسلم عن هبوب الريح(٧١).

ومن تمام وثوق عمر رضى الله عنه به أن اختاره عاملاً على عمارة البحرين ومعروف مذهب الفاروق عمر فى التحرى والدقة فى اختيار عماله ومحاسبتهم وقد جاء فى ذلك :

قال الحافظ ابن حجر فى الإصابة : (وقال عبد الرزاق أخبرنا معمر عن أيوب عن بن سيرين أن عمر استعمل أبا هريرة على البحرين فقدم بعشرة آلاف فقال له عمر استأثرت بهذه الأموال فمن أين لك قال خيل نتجت وأعطية تتابعت وخراج رقيق لي فنظر فوجدها كما قال .

ثم دعاه ليستعمله فأبى فقال لقد طلب العمل من كان خيرا منك قال ومن قال يوسف قال إن يوسف نبي الله بن نبي الله وأنا أبو هريرة بن أميمة وأخشى ثلاثا أن أقول بغير علم أو أقضي بغير حكم ويضرب ظهري ويشتم عرضي وينزع مالي)(٧٢).

وقد روى هذه القصة أيضًا الحافظ ابن كثير فى البداية والنهاية ثم قال عقبها : وذكر غيره أن عمر غرمه فى العمالة الأولى اثنى عشر ألفًا فلهذا امتنع فى الثانية.

والرواية الأولى قد اتفق عليها إمامان جليلان لهما فى النقد باعٌ طويل ولا ترقى لصحتها الرواية الثانية وصياغة ابن كثير بعبارة "رُوى" بصيغة المبنى للمجهول هى صيغة من صيغ التمريض أو التضعيف عند أهل الحديث .

وخلاصة الرواية المعتمدة أن عمر ولاه البحرين ثم عزله لأنه قد كثر ماله فلما تحقق عمر من مصدر أمواله عرف صدقه، فأراد أن يوليه مرة أخرى فرفض الإمارة.

---

(٧١) رواه أبو داود وابن ماجة عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : الريح من روح الله . تأتى بالرحمة ، وتأتى بالعذاب . فإذا رأيتموها فلا تسبوها ، وسلوا الله خيرًا ، واستعيذوا بالله من شرها" وهو حديث حسن صحيح كما قال الحافظ ابن حجر.

(٧٢) الإصابة فى تمييز الصحابة .

والبعض يتقول فيقول عن أبى هريرة رضى الله عنه أن عمر عزله من ولاية البحرين وهذا اتهام صريح له .

على أننا نحب من كل شخص عنده عقل ومعرفة باللغة العربية أن يقرأ الرواية السابقة – كما مرت علينا الآن – هل فيها أى اتهام لأبى هريرة رضى الله عنه ؟ بل على العكس فيها تبرئة لساحته ، ثم هل ترى لو أن عمر رضى الله عنه وجده متهماً أكان يعرض عليه الإمارة مرة ثانية. وسيرة عمر الفاروق مع الولاة معروفة .

وموقف الفاروق عمر رضى الله عنه ينتهى بالكلية لصالح أبى هريرة برغبة عمر توليته مرة أخرى لكن أبا هريرة رضى الله عنه هو الذى يرفض.

وفوق هذا كله نقول: أرأيت لو أن أبا هريرة رضى الله عنه كان يتقول على رسول الله صلى الله عليه وسلم أكان عمر يتركه ؟ وهل كان بقية الصحابة أيضاً يتركونه بلا عقاب ولا رادع ؟!

عبد الله بن عمر يشهد

كان حفظ أبى هريرة رضى الله عنه ودقته تبهر الصحابة يوماً بعد يوم ، وربما يحملون عليه فى بادئ الأمر ثم ينقلبون إلى مناصرين له بعد تجلى الحقائق والأحداث .

وهذا عبد الله بن عمر رضى الله عنهما قال له خباب بن الأرت ألا تسمع ما يقول أبو هريرة ؟! إنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: من خرج مع جنازة من بيتها وصلى عليها ثم تبعها حتى تدفن كان له قيراطان من أجر. كل قيراط مثل أُحد. ومن صلى عليها ثم رجع كان له من الأجر مثل أُحد.

فأرسل ابن عمر خباباً إلى عائشة يسألها عن قول أبى هريرة . ثم يرجع إليه فيخبره ما قالت . وأخذ ابن عمر قبضة من حصباء المسجد يقلبها فى يده حتى رجع إليه خباب فقال: قالت عائشة صدق أبو هريرة. فضرب ابن عمر بالحصى الذى كان بين يده فى الأرض ثم قال : لقد فرطنا فى قراريط كثيرة[٧٣].

(٧٣) رواه أحمد فى مسنده .

من هذا الموقف وغيره تتضح الصورة يوماً بعد يوم عن الصحابى الجليل أبى هريرة رضى الله عنه أنه هو الأحفظ بحرصه على التعلم وتفرغه له وأخذه بقوة وببركة دعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم له .

مما جعل عبد الله بن عمر وهو من علماء الصحابة يقول له فى النهاية : (إنْ كنتَ لألزمنا لرسول الله صلى الله عليه وسلم وأعرفنا بحديثه)(٧٤).

وظل ابن عمر عارفًا بقدر أبى هريرة حتى بعد وفاة أبى هريرة ، فعن نافع قال:

(كنت مع ابن عمر في جنازة أبي هريرة، وهو يمشي أمامها، ويكثر الترحم عليه، ويقول: كان ممن يحفظ حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم على المسلمين)(٧٥).

الزبير بن العوام والخلاف الفقهى

وثمة مواقف أخرى لبعض كبار الصحابة أمثال الزبير بن العوام رضى الله عنه: فقد روى عروة بن الزبير قال : قال لى أبى : ادننى من هذا اليمانى – يعنى أبى هريرة – فإنه يكثر الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فأدنيته منه فجعل أبو هريرة رضى الله عنه يحدث وجعل الزبير يقول : صدق كذب . قلت يا أبت ما قولك صدق كذب ؟ قال الزبير : أما أن يكون سمع هذه الأحاديث من رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا أشك . ولكن منها ما وضعه على مواضعه ومنها ما وضعه على غير مواضعه)(٧٦).

والمغرضون والذين فى قلوبهم مرض يقولون عن موقف الزبير بن العوام الوارد فى الرواية التى سقناها أنه يُكَذِّب أبا هريرة رضى الله عنه . ونحن نطلب من كل مَنْ يملك عقلاً راشداً أن يقرأها مرات ومرات .

إن موقف الزبير بن العوام رضى الله عنه موقف المتأكد والمثبت لما يرويه أبو هريرة رضى الله عنه . وإن كان وجه الأخذ على أبى هريرة رضى الله عنه عنده دلالة هذه الأحاديث . فربما رأى الزبير فى الحديث معنى فقهيا غير الذى يراه أبو هريرة رضى الله عنه . فهو لا يرد الحديث ولكنه يجتهد برأيه في دلالته وذلك لا يلام عليه أبو هريرة ولا الزبير فالرأى مشترك .

---

(٧٤) رواه الترمذى وأخرجه البغوى بسند جيد كما جاء فى الإصابة ونقله الذهبى فى سير أعلام النبلاء .
(٧٥) تاريخ دمشق لابن عساكر.
(٧٦) البداية والنهاية للحافظ ابن كثير.

ومعلوم أن الصحابة رضوان الله عليهم قد اختلفوا فقهياً فى عصر النبى صلى الله عليه وسلم وفى وجوده ولم ينكر عليهم ذلك .

بل إن هذا يُعد من مفاخر الإسلام وميزاته حتى قال الخليفة الراشد عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه : (ما سرنى أن أصحاب رسول الله لم يختلفوا)

فعمر بن عبد العزيز يرى أن اختلاف الصحابة واستنباطهم من النص سعة فكرية وتخفيفاً على الأمة بدلا من الحجر على الرأى .

ولعل خير مثال على ذلك موقف الصحابة رضوان الله عليهم من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم لهم وهم ذاهبون إلى غزوة بنى قريظة :

روى البخاري في باب صلاة الخوف من رواية ابن عمر أيضا قال: (قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لنا لما رجع من الأحزاب : لا يصلين أحد العصر إلا في بني قريظة فأدرك بعضهم العصر في الطريق ، وقال بعضهم : لا نصلي حتى نأتيها ، وقال بعضهم: بل نصلي ولم يرد ذلك منا ، فذكر ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم ، فلم يعنف واحدا منهم)[٧٧].

قال الحافظ فى الفتح وهو يشرح هذا الأثر : قال السهيلي وغيره في هذا الحديث من الفقه أنه لا يُعاب على من أخذ بظاهر حديث أو آية ولا على من استنبط من النص معنى يخصصه وفيه أن كل مختلفين في الفروع من المجتهدين مصيب.

ويُعلم من هذا أن محاولة القضاء على الخلاف فى مسائل الفروع يعتبر معاندةً للحكمة الربانية والتدبير الإلهى فى تشريعه . وما لم يكن فى العصر الأول ديناً ومنهجاً فكيف يكون اليوم ديناً ومنهجاً ؟!

استدراكات عائشة على الصحابة[٧٨]

بقى لنا فى هذا المضمار موقف أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها من حديث أبى هريرة رضى الله عنه.

---

(٧٧) صحيح البخارى – كتاب المغازى.

(٧٨) من أراد التوسع فليرجع إلى كتاب الإجابة فيما استدركته عائشة على الصحابة للإمام الزركشى..

أولا : هناك أحاديث زعم المشككون أن عائشة اعترضت على رواية أبى هريرة لها . ولكن حين البحث وجدنا أن عائشة لم تعترض على أبى هريرة فيه بل هى من رواة هذا الأحاديث . ومن أمثلة ذلك الحديث التالى :

عن أبي هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (إذا استيقظ أحدكم من نومه فليغسل يده قبل أن يدخلها في وضوئه فإن أحدكم لا يدري أين باتت يده)[٧٩].

فاعترض مَنْ لا علم له على هذا الحديث. وزعم أن أبا هريرة انفرد بروايته. كما زعموا أن عائشة ردت هذا الحديث وأنكرته .

والجواب لا يضر أبو هريرة انفراده للرواية. ولكن وبفضل الله ما من حديث اعترض عليه المشككون إلا وُجد معه من الصحابة مَنْ يروى هذا الحديث .

فمن رواة حديث غسل الأيدى الذى هو بين أيدينا جمع من الصحابة والمفاجأة أن منهم عائشة – التى زعموا أنها اعترضت عليه فيه – ، ومنهم ابن عمر وجابر وابن عباس وغيرهم .

كما أن هذا الحديث فى أعلى درجات الصحة فقد صححه العلماء المحققون أمثال البخارى ومسلم وأحمد ومالك وأصحاب السنن جميعا وغيرهم .

و هذا الحديث وغيره من فخار أمة الإسلام التى عنيت بالنظافة الشخصية :

١– ففي هذا الحديث ما فيه من التعبد وامتثال أمر الله ورسوله.

٢– فيه تنشيط للأيدى فالأطراف تكون أبعد الأماكن عن مركز الدورة الدموية.

٣– وفيه نظافة الأيدى لأن النائم ربما وضع يده فى فرجه أو عورته فتعلق بها بعض الميكروبات أو البويضات.

٤– وفيه وقاية الإنسان حتى لا تنتقل الجراثيم إلى بقية أعضاء الجسم خاصة أن هذه الأيدى يتمضمض بها ويستنشق بها ويغسل بها الأعضاء.

---

(٧٩) صحيح البخاري (١٦٢)، صحيح مسلم (٢٧٨)، سنن الترمذي (٢٤)، سنن النسائي (٤٤١)، سنن أبى داود (105)، سنن ابن ماجه (٣٩٥)، مسند أحمد (٥٠٧/٢)، موطأ مالك (٤٠).

٥- وفيه حفاظ على بقية الماء من التلوث.

وغيرها من الفوائد التى يتتبعها العلماء .

ثانيًا : هناك أحاديث فعلا تعجبت منها أمنا عائشة ولم تسمعها ، فقد قالت لأبى هريرة : إنك لتحدث عن النبى صلى الله عليه وسلم حديثًا ما سمعته منه. قال : شغلك عنه يا أمه المرآة والمكحلة وما كان يشغلنى عنه شيئٌ(٨٠).

خذ مثلاً حديث " الهرة " عن علقمة ، قال : كنا عند عائشة فدخل عليها أبو هريرة، فقالت: يا أبا هريرة ، أنت الذي تحدث أن امرأة عذبت في هرة لها ربطتها لم تطعمها ولم تسقها ، فقال أبو هريرة : سمعته منه ، يعني النبي صلى الله عليه وسلم .

فقالت عائشة : (أتدري ما كانت المرأة ؟ قال : لا ، قالت : إن المرأة مع ما فعلت كانت كافرة ، إن المؤمن أكرم على الله من أن يعذبه في هرة، فإذا حدثت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فانظر كيف تحدث)(٨١).

أنكرت عائشة على أبى هريرة تحديثه بهذا الحديث بصيغته وحسبت أنه أنزله فى غير محله. وحجة عائشة أنها تستكثر أن يُعذب إنسان مؤمن من أجل هرة. وأن المؤمن أكرم على الله من أن يدخله النار من أجل حيوان أعجم بهيم !

وغفر الله لأمنا أم المؤمنين عائشة ورضى عنها ، لقد نسيت شيئًا هنا فى غاية الأهمية وهو يدل عليه العمل. إن حبس الهرة حتى تموت جوعًا ، لهو برهان ناصع على جمود قلب تلك المرأة وقسوتها على مخلوقات الله الضعيفة ، وأن أشعة الرحمة لم تنفذ إلى حناياها . ولا يدخل الجنة إلا رحيم . ولا يرحم الله إلا الرحماء ، فلو رحمت من فى الأرض لرحمها من فى السماء .

إن هذا الحديث وما جاء فى معناه ليُعد فخرًا للإسلام فى مجال القيم الإنسانية، التى تحترم كل مخلوق حيى وتجعل فى كل ذات كبد رطبة أجرًا .

ومما يتمم هذا المعنى ما جاء فى الحديث الآخر الذى رواه البخارى أن رجلاً سقى كلبًا فشكر الله له فغفر الله له . وأن امرأة بغيًا سقت كلبًا فغفر الله لها(٨٢).

---

(٨٠) أخرجه ابن سعد فى الطبقات - باب أهل العلم والفتوى من الصحابة بإسناد صحيح .

(٨١) رواه أحمد فى مسنده حديث رقم (١٠٣٠٩).

(٨٢) راجع "رحمة الحيوان فى الإسلام" للمؤلف وهو منشور على النت يعالج حديث الإسلام ورحمته بالحيوان.

على أن أبا هريرة رضى الله عنه لم ينفرد برواية هذا الحديث، حتى يُظن أنه لم يضبط ألفاظه. فعن ابن عمر رضى الله عنهما أن النبى صلى الله عليه وسلم قال: (عُذبت امرأة فى هرة ، حبستها حتى ماتت جوعًا ، فدخلت فيها النار ، قال الله : لا أنت أطعمتيها، ولا سقيتيها حين حبستيها ، ولا أنت أرسلتيها ، فأكلت من خشاش الأرض)[٨٣].

وعن جابر بن عبد الله أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : (عُذبت امرأة فى هر ربطته حتى مات ، ولم ترسله فيأكل من خشاش الأرض)[٨٤].

فلم ينفرد أبو هريرة برواية الحديث، ولو أنه انفرد ما ضرَّه ذلك شيئًا.

ثالثًا : أن هذا كان طبعًا لأم المؤمنين عائشة رضى الله عنها أن تستفهم عما لا تعلم سواء كان من أبى هريرة أو غيره من الصحابة أو من الرسول صلى الله عليه وسلم نفسه :

* فقد كانت أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها تستدرك على كبار الصحابة. وموقفها مع أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه معروف عند أهل العلم، روى عمر أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : (إن الميت ليعذب ببكاء أهله عليه) قالت عائشة : وهم عمر . أين أنتم من قول الله سبحانه : (وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى)[٨٥] ؟!

غير أن عمر فى خلافته كلها ظل يمنع النساء من النياحة على الموتى بل ويستخدم الدِّرَةَ لمنعهن. وقد اجتهدت عائشة رضى الله عنها فعرضت الحديث على كتاب الله فخرجت بهذه الخلاصة. ولكن الصحابة ظلوا يعلون بما نقله عمر وغيره من الصحابة. وللعلماء ردود وشروح كثيرة على ذلك أكثر من أن تحصى فى هذا المقام.

نعم هنا إشكال لكن ليس هناك تعارض بين نصوص القرآن الكريم ونصوص السنة النبوية. وقد أحسن الإمام البخارى رحمه الله حين بوَّب فى كتاب الجنائز من صحيحه : " باب قول النبى صلى الله عليه وسلم يُعذب الميت ببعض بكاء أهله عليه إذا كان النوح من سنته لقول الله تعالى (قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا)[٨٦] . وقال النبى صلى الله عليه وسلم كلكم

---

(٨٣) رواه أحمد والبخارى ومسلم .
(٨٤) رواه الإمام أحمد .
(٨٥) سورة المائدة آية ١٦٤
(٨٦) سورة التحريم آية ٦

راعٍ وكلكم مسئول عن رعيته . فإذا لم يكن من سنته فهو كما قالت عائشة رضى الله عنها (وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى)[٨٧].

وقد حمل بعض العلماء العذاب هنا بمعنى التألم والله أعلم .

وإن هذا الحديث يمنع النياحة وتجاوز الحدود لا البكاء الفطرى. وإلا فقد جاء عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال : دخلنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم على أبي سيف القين وكان ظئرا لإبراهيم عليه السلام فأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم إبراهيم فقبله وشمه ثم دخلنا عليه بعد ذلك وإبراهيم يجود بنفسه فجعلت عينا رسول الله صلى الله عليه وسلم تذرفان فقال له عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه وأنت يا رسول الله فقال يا ابن عوف إنها رحمة ثم أتبعها بأخرى فقال صلى الله عليه وسلم إن العين تدمع والقلب يحزن ولا نقول إلا ما يرضى ربنا وإنا بفراقك يا إبراهيم لمحزونون[٨٨].

فيدلنا ذلك على أنه لا بأس بالبكاء الفطرى الذى أودعه الله فى النفوس السليمة والذى لا يصاحبه ضجراً ولا تأففاً بقضاء الله وقدره. وإن الحديث الذى يمنع النياحة ويزجرها المروى عن عمر يتوافق ومبادئ الإسلام فى الإيمان بالقضاء والقدر والصبر والتسليم لإرادة الله سبحانه .

وكيف لو تُركت النساء تنعى وتنوح لظهر المجتمع الإسلامى بأنه مجتمع جزع أمام تقلبات الدهر . لذا سنة النبى صلى الله عليه وسلم أقوم وأهدى فهو يوافق الفطرة السليمة ويمنع الجزع والضجر بقضاء الله وقدره .

إن الجزع الشديد قد يخرج النفس عن رشدها وربما يهيجها إلى ما فيه دمارها وفى النهاية نحن راجعون إلى الله سبحانه .

* إن أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها امرأة ذات قلب عقول ولسان سؤول ، لا تسمع شيئاً لا تعرفه إلا راجعت فيه حتى تعرفه. وتأمل هذه الرواية: عن عائشة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من نوقش الحساب عذب. قالت قلت أليس يقول الله تعالى فسوف يحاسب حسابا يسيرا ؟ قال : ذلك العرض[٨٩].

---

(٨٧) سورة المائدة آية ١٦٤

(٨٨) رواه البخارى فى صحيحه حديث رقم (١٢٤١).

(٨٩) رواه البخارى فى صحيحه حديث رقم (٦١٧١).

ولكن ماذا بعد رحيل رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ من يرد على أم المؤمنين الفقيهة تربية الصديق ثم وريثة علم النبوة من داخل المدرسة لا من خارجها.

* ولأم المؤمنين عائشة رضى الله عنها استدراكات أخذها علماء الصحابة مأخذ التأييد والتسليم لها وإليك هذين المثالين :

الأول : موقفها مع عروة بن الزبير رضى الذى قال لعائشة :

أرأيت قول الله تعالى (إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ)(٩٠) . فقلت : فوالله ما على أحد جناح أن لا يطوف بهما ، قال : فقالت عائشة : بئسما قلت يا ابن أختي ، إنها لو كانت على ما أولتها عليه ، كانت فلا جناح عليه أن لا يطوف بهما ، ولكنها إنما أنزلت ، أن الأنصار كانوا قبل أن يسلموا يهلون لمناة الطاغية التي كانوا يعبدون عند المشلل ، وكان من أهل لها تحرج أن يطوف بالصفا والمروة، فسألوا عن ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقالوا : يا رسول الله ، إنا كنا نتحرج أن نطوف بالصفا والمروة في الجاهلية ، فأنزل الله عز وجل الآية قالت عائشة : ثم قد سن رسول الله صلى الله عليه وسلم الطواف بهما ، فليس ينبغي لأحد أن يدع الطواف بهما(٩١).

وعائشة صاحبة فقه فى ذلك ولا شك . والحمد لله أنها قمعت هذا الظن الخاطئ فى مهده .

الثانى : موقفها مع عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما حيث بلغها أنه يأمر النساء إذا اغتسلن أن ينقضن رؤوسهن . فقالت : يا عجباً لابن عمرو هذا ! يأمر النساء إذا اغتسلن أن ينقضن رؤوسهن أفلا يأمرهن أن يحلقن رؤوسهن ! لقد كنت أغتسل أنا ورسول الله صلى الله عليه وسلم من إناء واحد. ولا أزيد على أن أفرغ على رأسى ثلاث إفراغات(٩٢).

وعائشة صاحبة فقه فى ذلك ولا شك .

---

(٩٠) سورة البقرة آية ١٥٨.

(٩١) أخرجه الأئمة أحمد والبخارى ومسلم . واللفظ هنا لأحمد حديث رقم (٢٤٥٤٩).

(٩٢) صحيح مسلم – كتاب الحيض.

هذا ولو تتبعنا ما استدركته أم المؤمنين عائشة على الصحابة الكرام لطال بنا المقام . وقد أفرد الأئمة الأعلام فى ذلك كتبًا مستقلة ، منها الكتاب الرائع الماتع للإمام بدر الدين الزركشى الإجابة لإيراد ما استدركته عائشة على الصحابة.

واستدراكات عائشة على الصحابة يُعَدُ نموذجًا يحتذى به يبين كيف أعلى الإسلام شأن المرأة ، التى كانت قبل سنوات قلائل تقتل فى صغرها وكانوا يعتبرون المرأة عارًا على ذويها فرفعها الإسلام وأعلى مرتبتها وجعل لها الحق فى أن تأخذ وترد على كبار الرجال حتى الخلفاء منهم .

وليس هذا لأم المؤمنين عائشة وحدها بل لكافة النساء ، فها هو الخليفة الراشد عمر بن الخطاب رضى الله عنه ينهى الناس عن الغلاء فى المهور فترد عليه امرأة أين أنت من قول الله تعالى (.. وَآتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنطَارًا ..)[٩٣]. فقال عمر : أصابت المرأة وأخطأ عمر.

لقد نقلهم الإسلام نقلة كلية من الظلمات إلى النور ومن ضيق الجاهلية إلى رحابة الإسلام وسمو آدابه فمن وأد البنات إلى قبول الرأى منهن نهارًا جهارًا .

وليس استدراك الصحابة على بعضهم إلا تصحيحًا للذات ، وتنبيهًا للغافل ، وتثبتًا فى نقل الرواية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وليس استدراك عائشة على أبى هريرة رضى الله عنه وحده . بل استدركت على كثير من الصحابة الأجلاء وأبو هريرة رضى الله عنه واحد منهم.

كما أنه ليس شكًا فيه لا فى ورعه ولا ديانته .

وسام شرف من عائشة لأبى هريرة

حين حضرت عائشة رضى الله عنها الوفاة أوصت أن يصلى عليها أبو هريرة رضى الله عنه لا لقرابة بينهما بل لعلمها بإمامته.

فهل ترى عائشة رضى الله عنها حال الإقبال على رب العالمين أن توصى أن يصلى عليها رجل متهم فى دينه عندها .

وقد كان فى القوم يومها عبد الله بن عمر رضى الله عنه التى كانت عائشة تجله وتقدره هو وأباه بصفة خاصة .

---

(٩٣) سورة النساء آية ٢٠.

وما ذلك منها إلا شهادة ووسام شرف أرادت رضى الله عنها أن تتوج بها ذلك الصحابى الجليل الذى أفنى عمره لخدمة سنة النبى صلى الله عليه وسلم فحق له أن يصير عند عائشة وريثًا لمدرسة النبوة .

خلاصة مواقف الصحابة حول أبى هريرة

لقد وجدنا من بحث سيرة الصحابى الجليل أبى هريرة رضى الله عنه أنه ما من صحابى وقف موقفًا قد يوهم اتهامًا لأبى هريرة رضى الله عنه إلا وشهد له فى النهاية بالحفظ والأمانة والإمامة كما بيَّنا فى المواقف السابقة للصحابة الأجلاء أمثال **عمر وعائشة والزبير وابن عمر** .

وكأن الله سبحانه قدَّر الأمور ليمحُوَا عن أكثر رواة الحديث أى شك. ويأبى الله إلا أنم يُسمع دينه. ويأبى الله إلا أن يمضى وعده، ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون .

فعن مالك بن أبى عامر قال : (كنت عند طلحة بن عبيد الله ، فقيل له ما تدرى هذا اليمانى أعلم برسول الله منكم ، أو هو يقول على رسول الله صلى الله عليه وسلم ما لم يقل ؟ قال فقال : والله ما نشك أنه سمع ما لم نسمع ، وعلم ما لم نعلم، إنَّا كنا أقوامًا لنا بيوتات وأهلون ، وكنا نأتى النبى صلى الله عليه وسلم طرفى النهار ثم نرجع ، وكان أبو هريرة مسكينًا لا مال له ولا أهل ، إنما كانت يدُهُ مع يد النبى صلى الله عليه وسلم فكان يدور معه حيثما دار ، فما نشك أنه قد سمع ما لم نسمع)[٩٤].

وقد سبق تقديم شهادة الصحابى الجليل زيد بن ثابت رضى الله عنه الذى قال :

(إني بينما أنا وأبو هريرة وفلان في المسجد ذات يوم ندعو الله ، ونذكر ربنا ، خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى جلس إلينا ، فسكتنا ، فقال : عودوا للذي كنتم فيه ، قال زيد : فدعوت أنا وصاحبي قبل أبي هريرة ، وجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يؤمن على دعائنا ، ثم دعا أبو هريرة ، فقال : اللهم إني أسألك مثل ما سألك صاحباي هذان، وأسألك علما لا ينسى ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : آمين ، فقال: يا رسول الله ، ونحن نسأل الله علما لا ينسى ، فقال: سبقكم بها الغلام الدوسي)[٩٥].

---

(٩٤) رواه البخارى فى التاريخ ، وأبو يعلى بإسنادٍ حسن. ورواه البيهقى فى مدخله من طريق أشعث مولى طلحة.
(٩٥) السنن الكبرى للنسائى – كتاب العلم (٥٦٦٧)

حياد المغرضين عن الجادة

هكذا شهد النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه الكرام لأبى هريرة رضى الله عنه ، لكن المغرضين يخطفون بعض المواقف ويركزون عليها دون أن يأتوا بالصورة كاملة. وهذا ما يتبعه دوماً أهل الهوى والضلال.

وإليك مثالين لما يتعرض له أهل الفضل لشبهات أهل الأهواء والضلال:

(جاء رجل حج البيت فرأى قوما جلوسا فقال: من هؤلاء القعود ؟ قالوا: هؤلاء قريش. قال : من الشيخ ؟ قالوا : ابن عمر . فأتاه فقال : إني سائلك عن شيء أتحدثني قال أنشدك بحرمة هذا البيت أتعلم أن عثمان بن عفان فر يوم أحد ؟ قال: نعم . قال : فتعلمه تغيب عن بدر فلم يشهدها ؟ قال : نعم . قال : فتعلم أنه تخلف عن بيعة الرضوان فلم يشهدها ؟ قال : نعم . قال فكبر . قال ابن عمر : تعال لأخبرك ولأبين لك عما سألتني عنه أما فراره يوم أحد فأشهد أن الله عفا عنه . وأما تغيبه عن بدر فإنه كان تحته بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانت مريضة فقال له النبي صلى الله عليه وسلم إن لك أجر رجل ممن شهد بدرا وسهمه. وأما تغيبه عن بيعة الرضوان فإنه لو كان أحد أعز ببطن مكة من عثمان بن عفان لبعثه مكانه فبعث عثمان وكانت بيعة الرضوان بعدما ذهب عثمان إلى مكة فقال النبي صلى الله عليه وسلم بيده اليمنى هذه يد عثمان فضرب بها على يده فقال هذه لعثمان اذهب بهذا الآن معك)[٩٦].

فالرجل شأنه شأن أهل الأهواء فى الفتن ، لولا رد العلماء عليه.

الثانى : شكا أهل الكوفة سعد بن أبى وقاص إلى عمر بن الخطاب فعزله واستعمل عليهم عمارا فشكوا حتى ذكروا أنه لا يحسن يصلي. فأرسل إليه فقال: يا أبا إسحاق إن هؤلاء يزعمون أنك لا تحسن تصلي. قال أبو إسحاق : أما أنا والله فإني كنت أصلي بهم صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أخرم عنها أصلي صلاة العشاء فأركد في الأوليين وأخف في الأخريين. قال ذاك الظن بك يا أبا إسحاق فأرسل معه رجلا أو رجالا إلى الكوفة فسأل عنه أهل الكوفة ولم يدع مسجدا إلا سأل عنه ويثنون معروفا حتى دخل مسجدا لبني عبس فقام رجل منهم يقال له أسامة بن قتادة يكنى أبا سعدة قال أما إذ نشدتنا

---

(٩٦) صحيح البخارى – كتاب المغازى حديث رقم (٣٨٣٩)

فإن سعدا كان لا يسير بالسرية ولا يقسم بالسوية ولا يعدل في القضية . قال سعد : أما والله لأدعون بثلاث اللهم إن كان عبدك هذا كاذبا قام رياء وسمعة فأطل عمره وأطل فقره وعرضه بالفتن وكان بعد إذا سئل يقول شيخ كبير مفتون أصابتني دعوة سعد . قال عبد الملك "أحد الرواة" فأنا رأيته بعد قد سقط حاجباه على عينيه من الكبر وإنه ليتعرض للجواري في الطرق يغمزهن)[٩٧].

تأمل هذه الرواية جيدا إن عمر تصل إليه الرسائل تشكو سعداً ومن بين ما قالوا أنه لا يحسن أن يصلى. والرسائل تصور لعمر كأن الجموع والأغلبية لا تريد سعداً فيبعث عمر إلى أهل الكوفة يسأل عن سعد.

وانظر إلى الحقيقة على الطبيعة كل المسلمين وهم الكثرة الكاثرة من أهل الكوفة يثنون خيراً على سعد. ولم يعترض عليه إلا ندرة يمكن إهمالها إذا ما قورنت بجموع الرعية.

لكن أهل الأهواء والزيغ والضلال رغم قلتهم إلا أنهم ينمقون العبارات وتلمح ذلك فى القول المسجوع للرجل "لا يسير بالسرية ولا يقسم بالسوية ولا يعدل في القضية " ويرسلون الرسائل والتوقيعات للخليفة فيغبرون سير الصالحين. إنها النفوس التى باعت نفسها للأهواء واستخدمت ألسنتها السليطة ليغيروا الحقائق.

وكما قال ابن الرومى فى شعره :

في زخرف القول تزيين لباطلـــه	والحـــق قـــد يعتريه سوء تعبـــيرِ
تقول هذا مجاج النحل تمدحـــــه	وإن ذمـــمـــت تـــقـــل قيء الزنابيرِ
مدحاً وذماً وما جاوزت وصفهما	حسنُ البيان يُرِي الظلمـــاءَ كالنورِ

(٩٧) صحيح البخارى حديث رقم (٧٢٢).

موقف أبى هريرة من فتنة عثمان

رغم انشغال أبى هريرة رضى الله عنه بالسنة المطهرة وحفظها وبثها إلا أنه لم يكن منزوياً عن ما يدور حوله. ويبدو من شخصية أبى هريرة أن الأمر إذا كان واضحاً عنده دخل فيه بكليته وإلا توقف.

فلد ثبت أنه جاهد مع أبى بكر الصديق رضى الله عنه فى قتاله المرتدين.

ومرَّ بنا كيف ولاه عمر بن الخطاب ولاية البحرين.

وحوصر الخليفة عثمان بن عفان رضى الله عنه ظُلماً فى آخر عهده. وحاول أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبناؤهم الكرام الدفاع عنه.

وأبت هذه الأحداث إلا أن تبرز لنا كوكبة من الصحابة رضوان الله عليهم تصدوا لهؤلاء القتلة الثائرين. ومن أشهرهم كان الحسن والحسين وعبد الله بن الزبير وأبو هريرة ومحمد ابن طلحة وعبد الله بن عمر وغيرهم شهروا سيوفهم فى وجه الطغاة الذين أرادوا قتل عثمان رضى الله عنه.

إن الذين تجمعوا للدفاع عن عثمان رضى الله عنه كانوا أكثر من سبعمائة من أبناء الصحابة ولكن هذا العدد لا يصل إلى أعداد الثائرين والبغاة. فقد عبأوا الجماهير بالإشاعات المصطنعة، واستغلوا أخطاء – وكل بنى آدم خطاء – وكبروها وأولوها وشحنوا الجو العام وأوقعوا بعض مّنْ لا دراية لهم بمآلات الأمور إلى تصريحات ساعدت على الشحن الجماهيرى والاتجاه للثورة على الخليفة الراشد عثمان .

ثم دُبر الأمر بليل فحددوا ساعة الصفر حيث جموع الجيش فى الغزو ؛ فقد كثرت الفتوحات الإسلامية فى عصر عثمان رضى الله عنه.

كما أن جموع الصالحين والصحابة فى الحج يتأمرهم الصحابى الجليل عبد الله ابن عباس رضى الله عنهما حيث اليوم يوم الثامن عشر من ذى الحجة ليلاً .

وباغتوا الصحابة فى مدينتهم من كل صوب وحدب. ثم باغتوا بيت الخليفة شخصياً ، ولكن عثمان بن عفان أمر الصحابة بكف الأيدى وعدم القتال.

نعم رفض الخليفة عثمان أن يتقاتل الناس ، فعن عبد الله بن عامر بن ربيعة قال: (كنت مع عثمان فى الدار فقال أعزم على كل من رأى أن عليه سمعاً وطاعة إلا كف يده وسلاحه)[٩٨].

وجاء زيد بن ثابت إلى عثمان رضى الله عنه فقال : هذه الأنصار بالباب قالوا إن شئت أن نكون أنصار الله مرتين كما كنا مع النبى صلى الله عليه وسلم نكون معك، فقال عثمان: (أما قتال فلا)[٩٩].

إن التاريخ وقف وسيقف طويلا أمام موقف عثمان رضى الله تعالى عنه.

إنه الثبات الذى يجعله يضحى بنفسه حتى لا تتقاتل رعيته. فلم يختر أن ينجوا بنفسه ويترك الناس فى مقتلة عظيمة. يضاف إلى ذلك الرحمة ببقية أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وبأبنائهم من أن يقتلوا معه وهو مقتول مقتول.

إنها الصيانة لمدينة الرسول صلى الله عليه وسلم من أن تُنتهك حرمتُها وفى الشهر الحرم من أناس لم يراعوا كل هذه الحرمات التى انتهكوها.

ولم يتصور الصحابة وأبناؤهم المدافعين عن عثمان أن المسائل تصل إلى هذه الدرجة طعن وقتل ودماء على المصحف وانتهاك حرمات أمر الله بصيانتها.

تأبى هذه الأحداث كلها إلا أن تشير إلى أبى هريرة رضى الله عنه كواحد من الذين جاءوا يدافعون عن الخليفة الراشد عثمان. فإن الصحابة سواء كثروا أو قلوا فإنه من الثابت وبالإجماع أن أبا هريرة كان واحداً من الذين انكشفت بصيرتهم فى وقت هذه الفتنة وجاء يدافع عن الخليفة عثمان. وإنها لمنقبة تضاف إلى سجل الغلام الدوسى والرجل السباق أبى هريرة رضى الله تعالى عنه.

---

(٩٨) أخرجه ابن أبى شيبة بسند صحيح .

(٩٩) أخرجه ابن أبى شيبة بسند صحيح أيضًا عن ابن سيرين .

اعتزال الفتنة الكبرى

موقف أبى هريرة من الفتنة الكبرى

استشاط الصحابةُ غضباً لمقتل عثمان بن عفان رضى الله عنه. وشعر الجميع أنهم قصروا فى حماية خليفتهم وأميرهم وتمنوا لو أنهم قُتلوا جميعاً وهم يدافعون عنه .

وعمد الناس إلى خيرهم وأفضلهم على الإطلاق سيدنا على بن أبى طالب رضى الله عنه فبايعوه بيعة عامة .

وفى موجة الأحزان والعواطف حُزناً على عثمان رضى الله عنه وما فُعل به قام البعض مطالبين بالقصاص من قتلة عثمان رضى الله عنه. وكان على رأسهم معاوية بن أبى سفيان والى الشام وابن عم الخليفة المقتول ، وكذلك عمرو بن العاص والى مصر ، وعائشة أم المؤمنين ، وصحابيان من العشرة المبشرين بالجنة ألا وهما : طلحة بن عبيد الله ، والزبير بن العوام .

أما على بن أبى طالب رضى الله عنه فهو الخليفة المبايع كان يعلم أن هذه فتنة وأنه يجب أن تهدأ الأمور وتستقر ثم يؤتى بقتلة عثمان. وكان الحق يلازم ويوافق على بن أبى طالب رضى الله عنه ومَنْ معه حتى إن عمار بن ياسر فى آخر يوم فى حياته دعا بشراب فأتي بقدح من لبن فشرب منه ، ثم قال : صدق الله ورسوله ، واليوم ألقى الأحبة محمدا وصحبه ، إن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : " إن آخر شيء تزوده من الدنيا ضيحة لبن " ، ثم قال : والله لو هزمونا حتى يبلغونا سعفات هجر لعلمنا أنا على حق ، وهم على باطل(١٠٠). لكنها الفتن التى تعصف بالجميع .

وصمم كل فريق على موقفه وإن النار أولها الشرر وإن الحرب أولها الكلام. وفعلا تطورت الأمور مما أدى إلى اقتتال هاتين الفئتين. ولا شك أن اقتتال طائفتين من المسلمين على رأس كل طائفة صحابة كبار أفاضل جاهدوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المنشط والمكره لهى فتنة من أشد الفتن.

وفى أوقات الفتن يصير الحليم حيرانًا، بل يخرج الراشد عن صوابه.

وهنا أسفرت الأحداث عن كوكبة من الصحابة الأجلاء آثروا السلامة فى دينهم باعتزال الفتنة. ويسجل التاريخ من بينهم سعد بن أبى وقاص ، وسعيد بن زيد وهما من العشرة

---

(١٠٠) حلية الأولياء لأبي نعيم حديث رقم (٤٥٣).

المبشرين بالجنة ، وعبد الله بن عمر ، ومحمد بن مسلمة ، وأسامة بن زيد ، وأبو هريرة "حافظ السنة" ، وزيد بن ثابت "جامع القرآن وأعلم الناس بالفرائض"، وعمران بن حصين، وأنس بن مالك "خادم النبى"، وأبو بكرة الثقفى ، والأحنف بن قيس ، وأبو أيوب الأنصارى "نزل عنده النبى صلى الله عليه وسلم حين قدومه للمدينة" ، وأبو موسى الأشعرى ، والوليد بن عقبة ، وسعيد بن العاص ، وعبد الله بن عامر ، وعبد الله بن عمرو بن العاص ، وأبو برزة الأسلمى ، وأهبان بن صيفى ، وسلمة بن الأكوع "خير فرسان النبى صلى الله عليه وسلم" .

وكان من بينهم كما تقدم الصحابى الجليل أبو هريرة رضى الله عنه .

وكان أبو هريرة يستشهد بحديث سمعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم (ستكون فتنٌ القاعد فيها خير من القائم والقائم فيها خير من الماشي والماشي فيها خير من الساعي من تشرف لها تستشرفه فمن وجد منها ملجأ أو معاذا فليعذ به)[١٠١].

إمام المسيرة لا شيخ المضيرة

ومن العجيب أن نرى أُناساً يخرجون علينا مزورين للحقيقة والتاريخ متقولين على الصحابى الجليل أبى هريرة رضى الله عنه قائلين نقلاً عن حكايات أدبية مجهول رواتها : أن أبا هريرة كان فى معركة صفين يصلى فى جماعة علىّ ، ويأكل فى جماعة معاوية ، فإذا حمى الوطيس لحق بالجبل ، فإذا سُئل قال : علىٌّ أعلم ومعاوية أدسم والجبل أسلم .

وهذا كلام عجيب لا وزن له. مناف للأدب والتاريخ وبداهات العقول. فمن قال أن أبا هريرة رضى الله عنه حضر معركة صفين أصلاً ؟!

ثم هل يصح أنه كان يتنقل بين الجماعتين ويصانع الفئتين ولا ينكشف أمره ؟

ويقولون عنه طيلة خلافة على بن أبى طالب رضى الله عنه : (كان أبو هريرة يعجبه المضيرة جداً فيأكل مع معاوية. فإذا حضرت الصلاة صلى خلف على بن أبى طالب . فإذا قيل له فى ذلك قال : مضيرة معاوية أدسم وأطيب ، والصلاة خلف على أفضل وكان يُقال له شيخ المضيرة)[١٠٢].

---

(١٠١) صحيح البخارى – كتاب الفتن حديث رقم (٦٦٧٠).

(١٠٢) المضيرة : مريقة تطبخ باللبن أو الحامض . وربما خُلط بالحليب وكان من أطايب الأطعمة يومئذ.

فكيف يصح هذا فى بداهات العقول ؟ وعلى كان بالعراق ومعاوية كان بالشام وأبو هريرة كان بالمدينة.

إذ الثابت أنه بعد تولى إمارة البحرين فى عهد عمر بن الخطاب رضى الله عنه لم يفارق الحجاز . فقد قال ابن عبد البر فى الاستيعاب عن أبى هريرة رضى الله عنه: (استعمله عمر بن الخطاب على إمارة البحرين ، ثم عزله . ثم أراده على العمكل فأبى عليه ولم يزل يسكن المدينة وبها كانت وفاته)[١٠٣].

حقا (فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ)[١٠٤].

ثم يقولون أن معاوية أغرى أبا هريرة على تأليف أحاديث ضد على بن أبى طالب. فنقول أين هذه الأحاديث التى قالها أبو هريرة يسب فيها عليًّا ؟ بل إن المطلع على كتب الأحاديث الصحيحة كالبخارى ومسلم وغيرهما يرى الأحاديث الواردة كلها مدح فى على ابن أبى طالب سواء نقلها أبو هريرة أو غيره.

ونكتفى فقط بهذه الرواية التى جاءت عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يوم خيبر : لأعطين هذه الراية رجلا يحب الله ورسوله ، يفتح الله على يديه ، قال عمر بن الخطاب : ما أحببت الإمارة إلا يومئذ ، قال : فتساورت لها ، رجاء أن أدعى لها ، قال : فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، علي بن أبي طالب فأعطاه إياها ، وقال : إمش ولا تلتفت حتى يفتح الله عليك ، قال : فسار علي شيئا ، ثم وقف ولم يلتفت فصرخ : يا رسول الله : على ماذا أقاتل الناس ، قال : قاتلهم حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله ، وأن محمدا رسول الله ، فإذا فعلوا ذلك ، فقد منعوا منك دماءهم وأموالهم إلا بحقها ، وحسابهم على الله)[١٠٥].

---

(١٠٣) الاستيعاب لابن عبد البر – كتاب الكنى .

(١٠٤) سورة الحج آية ٤٦

(١٠٥) صحيح مسلم (٢٤٠٥) ، ومسند احمد (٣٨٤/٢).

بعد الخلافة الراشدة

بعد الخلافة الراشدة

إن المغرضين يقولون أن أبا هريرة كان إمعة ومتشيعاً لبنى أمية ووضع لهم الأحاديث وأنهم أغدقوا عليه بالأموال بعد ما كان فقيراً لا يجد شيئًا. لكنهم ينسون أنهم أنفسهم هم الذين يطعنون فيه أنه أثرى وكثر ماله فى عصر عمر.

لم يكن أبو هريرة ليبيع دينه بدنياه فقد ترك أرضه وبلاده وقبيلته وهاجر ليلحق بالنبى صلى الله عليه وسلم ملازماً ومتعلماً ومتخففاً من متاع الدنيا وما فيها مقابل هذه الملازمة وهذا التعلم.

لم يكن أبو هريرة رضى الله عنه فى أى مرحلة من مراحل حياته إمعة ، بل كان رضى الله عنه سباقًا لكل خير فقد أسلم دون قبيلته جميعًا ، ثم جاء مهاجراً حين حانت اللحظة ، ثم ترك متاع الدنيا كلها لله ورسوله. جاهراً بكلمة الحق الفاصلة فى الأوقات العصيبة التى كان يحياها المسلمون أمام الفتن .

* ثانيًا : إن الإسلام لا يدعو إلى الصدام مع الحكام. بل جاءت النصوص الشرعية تبين أن من إجلال الله إجلال ذى السلطان. وإن الحاكم إذا كان مسلماً (سواء أكان عادلا أو ظالما) له حقوق السمع والطاعة وغيرها. نعم نكره المعصية ولا طاعة فى معصية لكن لا ننزع يدا من طاعة. كذلك يجب علينا الأمر بالمعروف بالمعروف والنهى عن المنكر بلا منكر.

إن رغبة البعض الدائمة فى الصدام مع الحكام بداعى وبدون داعى ليس من الإسلام فى شيئ. أما الترابط والتلاحم بين الراعى والرعية فمقصود شرعى طالما كان الحكام مسلمين حتى وإن جاروا إلا أن تروا كفرا بواحا، وما أقاموا فيكم الصلاة فلهم السمع والطاعة ، ولا مفارقة للجماعة قيد شبر.

أما افتعال المشاكل وتهييج العامة فمخالف للشريعة، ومقوض لأركان المجتمعات، ومضعفًا لقوى الأمم ، ومنافى لبداهات العقول.

* وإذا نظرنا إلى العصر بعد فترة الخلفاء الراشدين نجد أن الأمر قد استقر لمعاوية وأصبح هو الخليفة الفعلى. وكان أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم يتعاملون معه كخليفة له السمع والطاعة وله جميع أحكام الإمارة. لكنهم كانوا كما علمهم نبيهم صلى الله عليه

وسلم يكرهون المعصية ولا ينزعون يداً من طاعة. ولمَّ لا يفعلون ذلك وقد استقرت الأمور فى يد معاوية بعد مقتل علىّ ومبايعة المسلمين لمعاوية عام الجماعة وعلى رأسهم الحسن بن على. وقد زكَّى النبى صلى الله عليه وسلم فعل الحسن فقال عنه : (إن ابني هذا سيد ولعل الله أن يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين)[١٠٦].

ورغم السمع والطاعة والحرص على وحدة الأمة والتلاحم بين الراعى والرعية فلم يمنع ذلك العلماء من الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر والجهر بالعلم وتوضيحه وخاصة وقت الحاجة إليه. مثل ما فعل أبو هريرة رضى الله عنه فى هذه الأحداث الثلاثة القادمة لترى بنفسك كيف يتقول هؤلاء عليه افتراءً بلا علم ولا دراية ولا بينة :

المثال الأول: فى عصر معاوية بن أبى سفيان قامت ضجة كبرى حيث إن الخليفة معاوية نسب زياد بن أبيه إلى أبى سفيان ، حيث إن أبا سفيان كان يأتى سمية – أم زياد – فى الجاهلية بدون الزواج الذى أقره الإسلام وأنجبت منه زياد. وكان الولد ينتسب للفراش لا للزنا وكان الأمر على ذلك فى الصدر الأول للإسلام – فكان يُدعى زياد بن أبيه – . حتى جاء معاوية فاحتاج إلى زياد بن أبيه ومَنْ معه واحتاج إلى أسلحته وفرسانه فاشترط زياد بن أبيه للوقوف معه أن يُقال عنه زياد بن أبى سفيان. وبعد تردد وتحت الحاجة قبل معاوية الشرط. فأثار ذلك أهل العلم من الصحابة وغيرهم حتى إن أحدهم أرسل شعراً إليه يقول فيه:

ألا أبلغْ معاويةَ بنَ حربٍ
فقد ساخت بما يأتي اليدانِ
أتغضبُ أن يقالَ أبوكَ عفٌ
وترضى أن يقالَ أبوكَ زاني
فأشهد أن رحمك من زياد
كرحم الفيل من ولد الأتانِ
وأشهدُ أنها حملت زياداً
وصخرٌ من سميةَ غير داني

(١٠٦) صحيح البخارى – فضائل الصحابة - حديث رقم (٢٧٠٤).

وممن جهر وصاح بذلك الصحابى الجليل أبى هريرة رضى الله عنه فقد روى البخارى بسنده أن عائشة ، زوج النبي صلى الله عليه وسلم ، قالت : (قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " الولد للفراش وللعاهر الحجر " . قال الراوى ابن شهاب الزهرى : وكان أبو هريرة يصيح بذلك)[١٠٧].

المثال الثانى :

موقف أبى هريرة رضى الله عنه حينما أراد معاوية أخذ ولاية العهد لابنه يزيد. ولا شك أن هذه المنطقة من المناطق المحظورة عند الساسة والتى تعتبر من الخطوط الحمراء التى لا يُسمح لأحدٍ مهما كانت مكانته أن يقترب منها .

لكن أبا هريرة رضى الله عنه جهر بذلك ونددد به ، وكان يروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (أعوذ بالله من إمارة الصبيان. قالوا : وما إمارة الصبيان ؟ قال : إن أطعتموهم هلكتم – أى فى دينكم – وإن عصيتموهم أهلكوكم – أى فى دنياكم بإزهاق النفس وذهاب المال أو بهما –)[١٠٨].

بل روى ابن أبى شيبة أيضاً : (إن أبا هريرة رضى الله عنه كان يمشى فى السوق ويقول : اللهم لا تدركنى سنة ستين ولا إمارة الصبيان).

قال الحافظ فى الفتح : وفي هذا إشارة إلى أن أول الأُغَيلمة كان في سنة ستين. وهو كذلك، فإن يزيد بن معاوية استُخلف فيها.

المثال الثالث:

موقف أبى هريرة حال دفن الحسن حين اعترض مروان على دفنه مع جده عليه الصلاة والسلام .

فقال أبو هريرة رضى الله عنه لمروان بن الحكم : والله ما أنت بوال، وإن الوالي لغيرك فدعه – يعني حين أرادوا دفن الحسن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم – ولكن تدخل فيما لا يعنيك، إنما يريد بهذا إرضاء مَنْ هو غائب عنك – يعني معاوية – قال: فأقبل عليه مروان مغضبا فقال: يا أبا هريرة إنَّ الناس قد قالوا إنك أكثرت على رسول الله

---

(١٠٧) صحيح البخارى – كتاب الفرائض – باب الولد للفراش حرة كانت أو أمة حديث رقم (٦٣٦٨) .
(١٠٨) مصنف ابن أبى شيبة .

صلى الله عليه وسلم الحديث، وإنما قدمت قبل وفاة النبي صلى الله عليه وسلم بيسير، فقال أبو هريرة : نعم ! قدمت ورسول الله صلى الله عليه وسلم بخيبر سنة سبع، وأنا يومئذ قد زدت على الثلاثين سنة سنوات، وأقمت معه حتى توفي، أدور معه في بيوت نسائه وأخدمه، وأنا والله يومئذ مقل، وأصلي خلفه وأحج وأغزو معه، فكنت والله أعلم الناس بحديثه، قد والله سبقني قوم بصحبته والهجرة إليه من قريش والأنصار، وكانوا يعرفون لزومي له فيسألوني عن حديثه، منهم عمر وعثمان وعلي وطلحة والزبير، فلا والله ما يخفى علي كل حديث كان بالمدينة، وكل من أحب الله ورسوله، وكل من كانت له عند رسول الله صلى الله عليه وسلم منزلة، وكل صاحب له، وكان أبو بكر صاحبه في الغار وغيره، وقد أخرجه رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يساكنه – يعرض بأبي مروان الحكم بن العاص –.

ثم قال أبو هريرة: ليسألني أبو عبد الملك عن هذا وأشباهه فإنه يجد عندي منه علما جما ومقالا، قال: فوالله ما زال مروان يقصر عن أبي هريرة ويتقيه بعد ذلك ويخافه ويخاف جوابه)[١٠٩].

فهل يُقال بعد ذلك أن أبا هريرة رجلٌ ينتصر أو يتشيع لبنى أمية ؟!

سبحانك هذا بهتان عظيم .

إن إلحاق زياد بأبى سفيان ، وكذلك أخذ البيعة ليزيد ، وكذلك اعتراضه على مروان بن الحكم حال دفن الحسن مع جده عليه الصلاة والسلام علامات فاصلة لكل من له عقل ولكل مَنْ له دراية بأمور السياسة .

****

(١٠٩) البداية والنهاية للحافظ ابن كثير.

فقه أبى هريرة

ومع غزارة علم أبى هريرة رضى الله عنه وسبقه إلى كل ممدوحة رأينا من يتهمونه ويجعلونه مثلاً لمن يحفظ ولا يفقه .

وندع النصوص هى التى تتكلم لترد على هذه الافتراءات المغرضة ونسوق خبراً واحداً يُعلم به الحق إن شاء الله :

عن معاوية بن أبي عياش الأنصاري ، أنه كان جالسا مع عبد الله بن الزبير ، وعاصم بن عمر بن الخطاب ، قال : فجاءهما محمد بن إياس بن البكير، فقال : إن رجلا من أهل البادية طلق امرأته ثلاثا قبل أن يدخل بها ، فماذا تريان ؟ فقال عبد الله بن الزبير: إن هذا الأمر ما لنا فيه قول ، فاذهب إلى عبد الله بن عباس، وأبي هريرة ، فإني تركتهما عند عائشة ، فسلهما ثم ائتنا ، فأخبرنا ، فذهب فسألهما، فقال ابن عباس ، لأبي هريرة : أفته يا أبا هريرة ، فقد جاءتك معضلة، فقال أبو هريرة : " الواحدة تبينها ، والثلاثة تحرمها ، حتى تنكح زوجا غيره " ، وقال ابن عباس : مثل ذلك . قال مالك : وعلى ذلك الأمر عندنا . والثيب إذا ملكها الرجل فلم يدخل بها ، إنها تجري مجرى البكر الواحدة تبينها ، والثلاث تحرمها ، حتى تنكح زوجا غيره)[١١٠].

يتبين من هذه الرواية أن أبا هريرة رضى الله عنه كان مشهوراً بين الصحابة بالعلم والفقه والفتيا ، وإلا لما أحال ابن الزبير وعاصم بن عمر السائل إليه .

ثم انظر إلى الصحابى الجليل ابن عباس رضى الله عنهما وهو حبر الأمة وفقيهها وترجمان القرآن يقول (أفته يا أبا هريرة) . قالها رجل فقيه مجرب دعا له النبى صلى الله عليه وسلم بعد أن وضع يده على صدره قائلاً : (اللهم فقهه فى الدين). ومقولة (جاءتك معضلة) شهادة أخرى من ابن عباس رضى الله عنهما تدل على مدى رسوخ علم وفقه أبى هريرة رضى الله عنه.

وإلا كيف يُحال إليه معضلاتُ المسائل وشدادها ؟!

ومن فقه أبى هريرة رضى الله عنه أن كان يتخير ما يقول وما يترك ، فليس كل ما يثبت يُقال لأى أحد أو فى أى وقت .

---

(١١٠) موطأ الإمام مالك – كتاب الطلاق حديث رقم (١١٦٩) .

فقد ثبت أن أبا هريرة رضى الله عنه قال : (حفظت من النبى صلى الله عليه وسلم وعاءين فأما أحدهما فبثثته وأما الآخر فلو بثثته قطع هذا البلعوم)[١١١].

والمراد بالوعاءين من الأحاديث التى تلقاها عن النبى صلى الله عليه وسلم :

الوعاء الأول : وهو الصنف الذى يتعلق بالأحكام والآداب والمواعظ وأصول الإسلام وقواعده ، فقد بلَّغه حتى لا يكون كاتماً للعلم .

والوعاء الثانى : هو الصنف الذى يتعلق بالفتن والملاحم وأشراط الساعة والإشارة إلى تبيين أسامى أمراء السوء وأحوالهم وزمنهم ، مما يكون فتنة لسامعه وتعريضاً لنفسه وأهله وأصحابه الضرر.

وقد كان أبو هريرة رضى الله عنهيكني عن بعضه ولا يصرح به خوفا على نفسه منهم ، كقوله : " أعوذ بالله من رأس الستين وإمارة الصبيان " يشير إلى خلافة يزيد بن معاوية لأنها كانت سنة ستين من الهجرة . واستجاب الله دعاء أبي هريرة فمات قبلها بسنة.

والمغرضون يملأون الدنيا صياحاً استناداً بحديث الوعائين السابق ويقولون أن أبا هريرة رضى الله عنه كتم العلم بنص ما قال :

وما تبناه أبو هريرة رضى الله عنه هو قاعدة شرعية أصيلة. فليس كل ما يعرف يُقال ، ولكن لكل مقام مقال ..

فالله سبحانه يعلمنا – وهو اللطيف الخبير – أن من الناس أُناساً أجدر ألا يتعلموا وأحرى أن يُمنع العلم عنهم وإلا لأفسدوا بما علموا . فكان الأجدر بهم أن يُتركوا على ما هم فيه من الجهل قال تعالى : (الْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا حُدُودَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ)[١١٢].

وإن أُناساً فى عصرنا الحديث لو تعلموا صناعة القنابل وغيرها لأفسدوا الدنيا بها. فمثل هؤلاء يحرم تعليمهم ويجب كتمان العلم عنهم .

ونهى النبى صلى الله عليه وسلم معاذ بن جبل رضى الله عنه من تبشير الناس حتى لا يتكلوا ويتركوا العمل وتأمل هذا الأثر :

---

(١١١) صحيح البخارى – كتاب العلم حديث رقم (١٢٠) .
(١١٢) سورة التوبة آية ٩٧ .

عن معاذ بن جبل ، قال : كنت رديف رسول الله صلى الله عليه وسلم ، على حمار ، يقال له : عفير ، فقال : (يا معاذ هل تدري ما حق الله على العباد ؟ أن يعبدوه ، ولا يشركوا به شيئا . وحقهم على الله: أن لا يعذب من لا يشرك به " ، قال : فقلت : يا رسول الله أفلا أبشر الناس ؟ قال : " لا تبشرهم ، فيتكلوا)[١١٣].

وأتقن أبو هريرة رضى الله عنه هذه القاعدة خاصة أنه قد مرت به أحداث مشابهة دربته ومرنته على هذه القاعدة وثبتتها عنده بصورة عملية حتى صار لديه ملكة فى ذلك.

فعن أبى هريرة رضى الله عنه قال:

كنا قعودا حول رسول الله صلى الله عليه وسلم. معنا أبو بكر وعمر، في نفر. فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم من بين أظهرنا. فأبطأ علينا. وخشينا أن يقتطع دوننا. وفزعنا فقمنا. فكنت أول من فزع. فخرجت أبتغي رسول الله صلىالله عليه وسلم. حتى أتيت حائطا للأنصار لبني النجار. فدرت به أجد له بابا. فلمأجد. فإذا ربيع يدخل في جوف حائط من بئر خارجة (والربيع الجدول) فاحتفزت كما يحتفز الثعلب. فدخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم. فقال" أبو هريرة؟" فقلت: نعم. يارسول الله. قال" ما شأنك؟" قلت: كنت بين أظهرنا. فقمت فأبطأت علينا. فخشينا أن تقطع دوننا. ففزعنا. فكنت أول من فزع. فأتيت هذا الحائط. فاحتفزت كما يحتفز الثعلب. وهؤلاء الناس ورائي. فقال: "يا أبا هريرة!" (وأعطاني نعليه). قال: " اذهب بنعلي هاتين. فمن لقيت من وراء هذا الحائط يشهد أن لا إله إلا الله. مستيقنا بها قلبه .فبشره بالجنة" فكان أول من لقيت عمر. فقال: ما هاتان النعلان يا أبا هريرة! فقلت :هاتان نعلا رسول الله صلى الله عليه وسلم. بعثني بهما. من لقيت يشهد أن لا إله إلا الله مستيقنا بها قلبه، بشرته بالجنة. فضرب عمر بيده بين ثديي. فخررت لأستي. فقال : ارجع يا أبا هريرة. فرجعت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم. فأجهشت بكاء. وركبني عمر. فإذا هو على أثرى. فقال لي رسول الله عليه وسلم: "ما لك يا أبا هريرة؟ " قلت : لقيت عمر فأخبرته بالذي بعثتني به. فضرب بين ثديي ضربة. خررت لأستي. قال: ارجع .فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: " يا عمر! ما حملك على ما فعلت؟ " قال: يا رسول الله! بأبي أنت وأمي. أبعثت أبا هريرة

---

(١١٣) متفق عليه .

بنعليك، من لقي يشهد أن لا إله إلا الله مستيقنا بها قلبه، بشره بالجنة؟ قال "نعم" قال: فلا تفعل. فإني أخشى أن يتكل الناس عليها. فخلهم يعملون. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فخلهم)[١١٤].

فكان من حكمة الفاروق والتى أيدها الرسول صلى الله عليه وسلم فى منع الرواية أنه ربما سمع الحديث مَنْ ليس على فقه فيصده ذلك عن العمل الصالح . وبذلك يكون النبى صلى الله عليه وسلم قد بلَّغ الحديث إلى أهله الذين يعرفون مدخله ومخرجه ثم تليهم الأمة فى فهم هذا النوع من العلم الذى يحتاج إلى جمع الروايات الواردة فى الباب لا أخذ حديث واحد معولين عليه التواكل ومبررين به المعاصى .

وقد أثبت الواقع التاريخى صحة هذه القاعدة: فعن أنس بن مالك رضى الله عنه : (أن ناساً كان بهم سقم قالوا يا رسول الله آونا وأطعمنا فلما صحوا قالوا إن المدينة وخمة فأنزلهم الحرة في ذود له فقال اشربوا ألبانها فلما صحوا قتلوا راعي النبي صلى الله عليه وسلم واستاقوا ذوده فبعث في آثارهم فقطع أيديهم وأرجلهم وسمر أعينهم فرأيت الرجل منهم يكدم الأرض بلسانه حتى يموت. قال سلام الراوى فبلغني أن الحجاج قال لأنس حدثني بأشد عقوبة عاقبه النبي صلى الله عليه وسلم فحدثه بهذا فبلغ الحسن فقال وددت أنه لم يحدثه بهذا)[١١٥].

فانظر كيف حدَّث الصحابى الجليل أنس بن مالك رضى الله عنه الحجاج بن يوسف بحديث العرنيين فجعله الحجاج سيفاً على رقاب العباد .

وكان أنس رضى الله عنه يقول بعد ذلك : " ما ندمت على شيئ ما ندمت على حديث حدثت به الحجاج ".

وتأمل مقولة الحسن البصرى رضى الله عنه : " وددت أنه لم يحدثه بهذا " .

وقال علي بن أبى طالب رضى الله عنه : (حدثوا الناس بما يعرفون أتحبون أن يكذب الله ورسوله)[١١٦].

---

(١١٤) صحيح مسلم – كتاب الإيمان حديث رقم (٣١) .
(١١٥) صحيح البخارى – كتاب الطب حديث رقم (٥٣٦١) .
(١١٦) صحيح البخارى – كتاب العلم - باب من خص بالعلم قوما دون قوم كراهية أن لا يفهموا.

وقال ابن مسعود رضى الله عنه : (ما أنت بمحدث قوما حديثا لا تبلغه عقولهم إلا كان فتنة عليهم)[١١٧].

لأجل هذا وغيره عدَّ العلماء الأثبات أن هذا من فقه أبى هريرة. واعتبروه ليس من المكثرين فى الرواية فحسب، بل هو لهذا الحديث وغيره من فقهاء الصحابة.

****

(١١٧)أخرجه مسلم في خطبة الكتاب.

مدرسة أبى هريرة رضى الله عنه
وكيف دُونت السنة

مدرسة أبى هريرة رضى الله عنه

احتل أبو هريرة رضى الله عنه مكانة عظيمة فى قلوب المؤمنين أغاظت أعداء الإسلام وأهل الضلال . هذه المكانة استقرت فى قلوب أهل الإيمان وأهل العلم بصفة خاصة وذلك لحرصه الشديد على التعلم على يدى النبى صلى الله عليه وسلم الذى كان يحيى فيه ذلك ويشجعه .

فعن أبي هريرة رضى الله عنه أنه قال : (قلت يا رسول الله من أسعد الناس بشفاعتك يوم القيامة ؟ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لقد ظننت يا أبا هريرة أن لا يسألني عن هذا الحديث أحد أول منك لما رأيت من حرصك على الحديث ، أسعد الناس بشفاعتي يوم القيامة من قال لا إله إلا الله خالصا من قلبه أو نفسه)[١١٨].

ولذلك علت مكانته فتبادر الناسُ إلى السماع منه والأخذ عنه بداية من الصحابة ثم أهل العلم من التابعين .

* فأخذ عنه كثير من الصحابة منهم: عبد الله بن عباس، وعبد الله بن عمر، وأنس بن مالك، وجابر بن عبد الله وغيرهم رضى الله عنهم جميعاً.

* وأخذ عنه أئمة التابعين منهم : فقهاء المدينة السبعة ، وبشير بن نهيك السدوسى، وهمام بن منبه وغيرهم .

ثم تتابعت الرواية للأحاديث التى رواها واستكتبها وأملاها جيلاً بعد جيل .

* أضاف أبو هريرة رضى الله عنه إلى حفظه شيئًا آخر وهو تكليف مَنْ يكتب له الأحاديث التى رواها عن النبى صلى الله عليه وسلم .

مثل ما نرى فى عصرنا الحالى بعض العلماء الذين قد لا يجيدون استخدام الحاسب الآلى فيكلفون من يجمع أعمالهم ومصنفاتهم. وهو يراجعها فقط.

ومما يدل على ذلك قول الفضل بن الحسن بن عمرو بن أمية الضمرى المدنى عن أبيه أنه قال : (تحدثت عند أبى هريرة بحديث فأنكره فقلت إنى سمعته منك، فقال: إن كنت سمعته منى فهو مكتوب عندى، فأخذ بيدى إلى بيته فأرانا كتبًا كثيرة من حديث رسول الله

---

(١١٨) صحيح البخارى – كتاب العلم – باب الحرص الحديث حديث رقم (٩٩).

صلى الله عليه وسلم، فوجد ذلك الحديث، فقال : قد أخبرتك أنى إن كنت حدثتك به فهو مكتوب عندى)[١١٩].

قال الحافظ فى الفتح : لا يلزم من وجود الحديث مكتوباً عنده أن يكون بخطه، وقد ثبت أنه لم يكن يكتب فتعين أن المكتوب عنده بغير خطه.

من تلاميذ أبى هريرة رضى الله عنه

الأول : بشير بن نهيك السدوسى:

كان يقول : كنت أكتب الحديث عن أبى هريرة رضى الله عنه فلما أردت أن أفارقه قلت : يا أبا هريرة . إنى كتبت عنك كتاباً ، أفأرويه عنك ؟ قال : نعم . اروه عنى.

ولم تكن الإجازة فى الرواية إلا بعد اطمئنناه رضى الله عنه على صحة هذه المرويات الواردة فى هذا الكتاب .

وعن بشير قال : أتيت أبا هريرة رضى الله عنه بكتابى الذى كتبته عنه فقرأته عليه، فقلت : هذا سمعته منك ؟ قال : نعم .

الثانى : عبد العزيز بن مروان بن أبى العاص بن أمية :

أبو الأصبع المدنى ووالد الخليفة الراشد عمر بن عبد العزيز تولى بمصر عشرين عاماً من عام ٦٥هـ إلى أن تُوفى ودفن بها .

روى الحديث عن أبيه وعبد الله بن الزبير وعقبة بن عامر وأبى هريرة وحديثه عنه فى مسند أحمد وسنن أبى داود .

وكانت روايته عن أبى هريرة رضى الله عنه مدونة عنده .

فقد كتب إلى كثير من مرة الحضرمى[١٢٠] أن يكتب إليه مما سمع من أحاديث الصحابة ، ثم قال : " لا حديث أبى هريرة فإنه عندنا "

وهذا يدل على حرصه على الرواية بل والإكثار منها ، ثم يدل على أن حديث أبى هريرة رضى الله عنه كان مكتوباً عنده .

---

(١١٩) إن صح نسيان أبى هريرة فقد حمل العلماء تلك الروايات النادرة على أنها قبل بسط الثوب.

(١٢٠) أدرك سبعين من الصحابة وأخذ عنهم لذا خصه عبد العزيز بطلبه هذا.

ثالثًا : همام بن منبه الصنعانى :

وهو أشهر من دوَّن عنه الأحاديث كتب صحيفة أمام أبى هريرة وراجعها عليه. ولهذه الصحيفة مكانة خاصة فى تدوين الحديث، لأنها وصلت إلينا كاملة سالمة كما رواها ودونها همَّام بن منبه عن أبى هريرة، فكانت جديرة باسم " الصحيفة الصحيحة " (١٢١).

ومصطلح صحيفة وكتاب وجزء ونسخة ... إلخ لا يعنى بالضرورة "مجموعات صغيرة أو مذكرة عن الحديث" (١٢٢).

وقد رواها عن همام كثيرون ، آخرهم وأشهرهم : معمر بن راشد الذى عاش بعد همام عشرين عاماً .

ثم تتابع الرواة لها عن معمر ومن أشهرهم عبد الرزاق بن همام صاحب مصنف عبد الرزاق، ثم رواها الكثيرون عنه. ومن أشهرهم : أحمد بن حنبل الذى رواها فى مسنده كاملة.

ثم أخرج البخارى ومسلم منها أحاديث كثيرة فى أبواب متفرقة. وعنها يقول المحققون : " وهى أول كتب الحديث يصلنا كاملاً من الكتب المؤلفة فى النصف الأول الهجرى " (١٢٣).

---

(١٢١)هذه الصحيفة أخرجها الإمام أحمد بنصها فى مسنده ٣١٢/٢ - ٣١٩، وقد طبعت مرارًابتحقيق الدكتور محمد حميد الله . انظر : السنة النبوية . مكانتها . لفضيلة الدكتورعبد المهدى .

(١٢٢) راجع كتاب "دلائل التوثيق المبكر للسنة " للدكتور امتياز أحمد.

(١٢٣) من ككتاب المدخل إلى فتح البارى ص ١٤ للأستاذ السيد أحمد صقر.

تدوين السنة

ملحوظة : يجب أن نفرق بين مفهومين:

* الأول: كتابة السنة أو تدوينها. * والثانى: جمع السنة.

ويمكن أن نلخص الخطوات والمراحل بالتحديد:

المرحلة الأولى : كتابات متفرقة من الصحابة فى عصر الرسول .

المرحلة الثانية : كتابات منقولة ومجمعة من الصحابة إلى التابعين .

المرحلة الثالثة : الجمع والتدوين العام فى عصر عمر بن عبد العزيز .

كان من عظيم عناية الصحابة بحديث النبى صلى الله عليه وسلم أن الواحد منهم كان إذا شغله شاغل أرسل صاحبه الثقة ليخبره بما يقول الرسول صلى الله عليه وسلم. فكانوا يتناوبون فى السماع ويبلغ الشاهد منهم الغائب. ويسأل الغائب الشاهد. وسطروا السنة على صفحات قلوبهم ووعوا كل ما سمعوا وما شهدوا وحرصوا على نشره.

وتعاون ثقات المجتمع الإسلامى من الصحابة فى حياة النبى صلى الله عليه وسلم وبعد وفاته على حراسة سنة نبيهم .

وهل يشق على آلاف الثقات من الصحابة المخلصين حراسة تراث رجل واحد رأوا فيه سعادتهم فى الدنيا والآخرة ؟!

وعدتهم فى ذلك ذاكرتهم الواعية التى فاقوا فيها جميع الأمم. وشعورهم الفياض بأن السنة هى سنة رسول رب العالمين. فلو تخصص عشرة من الصحابة وحفظ كل واحد منهم فى صدره ما يساوى كمية نصف القرآن الكريم الذى حفظوه لكانوا جديرين بحراستها . فما بالك وقد جند لها ألاف الثقات الحفاظ أنفسهم .

هذا وبجوار الحفظ والذاكرة فقد بدأ كتابة الحديث فى عهد النبى صلى الله عليه وسلم وإن لم يكن التدوين عاماً فقد كانت هناك صحائف خاصة :

١- صحيفة سمرة بن جندب رضى الله عنه المتوفى عام ٦٠ هجرية : ففي ترجمة ابنه من " تهذيب التهذيب " أنه روى عن أبيه نسخة كبيرة. ولعلها الرسالة التي بعث بها إلى بنيه وقال فيها ابن سيرين: (فِي رِسَالَةِ سَمُرَةَ إِلَى بَنِيهِ عِلْمٌ كَثِيرٌ) (١٢٤).

(١٢٤) تهذيب التهذيب فى ترجمة ابن سمرة بن جندب.

٢- الصحيفة الصادقة كتبها عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما حيث كان كاتبًا محسنًا اشتهرت صحيفته التى دون فيها الحديث لأنه كتبها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم مباشرة فهى أصدق ما يروى عنه.

يقول عبد الله بن عمر رضى الله عنهما لمجاهد هذه الصحيفة الصادقة فيما سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم وليس بينى وبينه أحد(١٢٥).

وكانت عزيزة عليه للغاية. فكان يقول: " ما يرغبنى فى الحياة إلا الصادقة والوهط "(١٢٦).

٣- صحيفة جابر بن عبد الله الأنصارى المتوفى عام ٧٨ هجرية : وكان التابعى قتادة بن دعامة يقول (لأَنَا بِصَحِيفَةِ جَابِرٍ أَحْفَظ مِنِّي مَن سُورَة البَقَرَةِ) (١٢٧).

٤- صحيفة سعد بن عبادة رضى الله عنه ، ذكرها الترمذي : قال ربيعة الرأى: وأخبرنى ابنٌ لسعد بن عبادة قال : وجدنا فى كتاب سعد أن النبى صلى الله عليه وسلم قضى باليمين مع الشاهد(١٢٨).

٥- صحيفة " وثيقة المدينة " وهى العهد الذي كُتب في المدينة المنورة في السَّنَةِ الأولى للهجرة، والذي نظم العلاقة بين المسلمين واليهود. وهي معروفة متواترة.

٦- كتاب أبى شاة : فعن أبى هريرة رضى الله عنه قال لما فتحت مكة قام النبي صلى الله عليه وسلم فذكر الخطبة خطبة النبي صلى الله عليه وسلم قال فقام رجل من أهل اليمن يقال له أبو شاه فقال يا رسول الله اكتبوا لي . فقال : اكتبوا لأبي شاه(١٢٩).

٧- صحيفة على بن أبى طالب رضى الله عنه : عن أبى جحيفة قال سألت عليَّ بن أبى طالب رضي الله عنه هل عندكم شيء مما ليس في القرآن ؟ وقال مرة : مما ليس عند الناس ؟ فقال علىٌّ : والذي فلق الحبة وبرأ النسمة ما عندنا إلا ما في القرآن إلا فهمًا يعطى رجلٌ في كتابه وما في الصحيفة. قلت : وما في الصحيفة ؟ قال: العقل ، وفكاك الأسير ، وأن لا يقتل مسلم بكافر(١٣٠).

---

(١٢٥) المحدث الفاضل – الرامهرمزى – تقييد العلم ص ٨٤ وجامع بيان العلم وفضله . .

(١٢٦) سنن الدارمى كتاب تقييد العلم. الوهط : أرض لعمرو بن العاص تصدق بها ووقفها وكان عبد الله يقوم عليها.

(١٢٧) علوم الحديث ومصطلحه ص ١٥ .

(١٢٨) سنن الترمذى - كتاب الأحكام.

(١٢٩) سنن أبى داود – كتاب العلم حديث رقم (٣٦٤٩) .

(١٣٠) صحيح البخارى – كتاب الديات – باب لا يقتل المسلم بالكافر (٦٥١٧). والعقل هى الدية.

٨- ألواح ابن عباس رضى الله عنهما : فقد اشتهر بطلب العلم ودأبه ودعاء النبى صلى الله عليه وسلم له وكان يحدث من هذه الألواح حيث كان يحملها معه فى مجالس العلم ولقد تواتر أنه ترك منها حمل بعير وظلت معروفة متداولة مدة من الزمن.

٩- الصحيفة الصحيحة لهمام بن منبه وهو أحد أعلام التابعين رواها عن أبى هريرة رضى الله عنه . يقول المحققون عنها : إن تأليف هذه الصحيفة يرجع إلى أواسط القرن الأول لأن أبا هريرة رضى الله عنه توفى سنة ٥٨ هجرية .

١٠- الكتب والرسائل التى كتبها رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الأمراء والملوك وهى باقية إلى اليوم فى المكتبات العالمية(١٣١).

يضاف إلى ذلك حديث كتاب عمرو بن حزم الذي فيه الفرائض والسنن والديات، وحديث كتاب الصدقة ونصاب الزكاة الذي بعث به أبو بكر رضي الله عنه أنسا رضي الله عنه حين وجهه إلى البحرين.

وهذه الكتابات السابقة وغيرها ؛ تقطع بكتابة السنة المطهرة فى عصر النبوة والصحابة والتابعين.

وإذا جُمعت هذه الصحف والمجاميع وما احتوت عليه من الأحاديث كونت العدد الأكبر من الأحاديث التى دُونت فى المجامع والمسانيد والسنن بعد ذلك.

وهكذا يتحقق أن المجموع الأكبر من الحديث سبق تدوينه وتسجيله من غير نظام وترتيب فى عصر الرسول صلى الله عليه وسلم وفى عصر الصحابة رضى الله عنهم.

وقد شاع فى الناس – حتى المثقفين والمؤلفين – أن الحديث لم يُكتب ولم يُسجل إلا فى القرن الثالث الهجرى .

وأحسنهم حالاً من يرى أنه كُتب ودُون فى القرن الثانى الهجرى . وما نشأ هذا الغلط إلا لأمرين :

الأمر الأول: أن عامة المؤرخين يقتصرون على ذكر تدوين الحديث فى القرن الثانى ولا يعنون بذكر هذه الصحف والمجاميع التى كُتبت فى القرن الأول لأن عامتها فقدت مع أنها اندمجت وذابت فى المؤلفات المتأخرة.

---

(١٣١) راجع رسائل النبي إلى الملوك والأمراء تأليف عبد الوهاب عبد السلام طويلة و د. محمد أمين شاكر حلواني.

الأمر الثانى : أنهم يتصورون أن الأحاديث ضخمة العدد جداً .

فيُقال أن الإمام أحمد بن حنبل كان يحفظ أكثر من سبع مائة ألف حديث . وكذلك يقال عن أبى زرعة.

ويروى عن الإمام البخارى أنه كان يحفظ مائتى ألف من الأحاديث الضعيفة ويحفظ مائة ألف من الأحاديث الصحيحة.

ويُروى عن مسلم أنه جمع أحاديثه من ثلاث مائة ألف حديث .

ولا يعرف كثيرٌ من المتعلمين فضلاً عن العامة أن الذى يُكوِّن هذا العدد الضخم هو كثرة المتابعات والشواهد.

خذ مثلا : حديث (إنما الأعمال بالنيات). يُروى عن سبع مائة طريق.

فلو جردنا مجاميع الحديث لبقى عدد قليل .

وقد صرح الحاكم أبو عبد الله الذى يُعتبر من المتوسعين أن الأحاديث التى فى الدرجة الأولى لا تبلغ عشرة ألاف .

ومعظم هذه الثروة الحديثية قد كُتبت ودُونت بأقلام رواة العصر الأول.

وقد يزيد ما حُفظ فى الكتب والدفاتر كتابة وتحريراً فى العصر النبوى وفى عصر الصحابة رضى الله عنهم على عشرة ألاف حديث.

فإذا جمعناَ صحف ومجاميع أبى هريرة ، وعبد الله بن عمرو ، وأنس بن مالك ، وجابر بن عبد الله ، وعلى بن أبى طالب ، وابن عباس رضى الله عنهم لكان لأمكننا ذلك أن نقول :

إن ما ثبت من الأحاديث الصحاح واحتوت عليه مجاميعها ومسانيدها قد كُتب ودُون فى عصر النبوة وفى عصر الصحابة قبل أن يُدون الموطأ والصحاح بكثير .

ولقائل أن يعارض ويقول أن النبى صلى الله عليه وسلم نهى عن كتابة الحديث مستدلاً بالحديث الذى جاء عن أبي سعيد الخدري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا تكتبوا عني ومن كتب عني غير القرآن فليمحه وحدثوا عني ولا حرج ومن كذب عليَّ متعمدا فليتبوأ مقعده من النار(١٣٢).

(١٣٢) صحيح مسلم – كتاب الزهد والرقائق - باب التثبت في الحديث وحكم كتابة العلم حديث (٣٠٠٤).

فإن ذلك كان فى بدء الدعوة خوفًا من اختلاطه بالقرآن فلما أمن ذلك أذن في الكتابة ، أو أنه نهى عن كتابة الحديث مع القرآن في صحيفة واحدة . أو أن النهى كان لكُتَّاب الوحى بصفة خاصة حتى يتفرغوا لمهمة القرآن .

واستقر الأمر بعد ذلك على الكتابة مثل الأمثلة السابقة وغيرها.

وهكذا كان عصر الصحابة رضوان الله عليهم الذين شهدوا الوحى والتنزيل واختارهم الله لصحبة نبيه وجعلهم أعلامًا وقدوة ونفى عنهم الشك والريبة وسماهم عدول الأمة فقال سبحانه : (وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا)(١٣٣).

وفسر النبى صلى الله عليه وسلم وسطًا أى عدلاً .

فكانوا أئمة الهدى ، وحجج الدين ، ونقلة الكتاب والسنة ، والحراس عليها ومعهم التابعون اختارهم الله لإقامة دينه وفقهوا فيه فأخذوا السنة عن الصحابة قال سبحانه : (وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ)(١٣٤).

على أنه قبل أن ينقضى عصر الصحابة أمر الخليفة العادل عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه بتدوين الحديث تدوينًا عامًا وجامعًا . فكان التدوين الرسمى على رأس المائة الأولى حينما رأى اتساع الفتوحات الإسلامية وانتشار الصحابة فى الأقطار وموت أكثرهم.

فقد كتب عمر بن عبد العزيز إلى أبى بكر بن حزم : (انظر ما كان من حديث رسول الله فاكتبه ، فإنى خفتُ دَرُوس العلم وذهاب العلماء . ولا تقبل إلا حديث النبى صلى الله عليه وسلم ، ولتفشوا العلم ، ولتجلسوا حتى يعلم من لا يعلم . فإن العلم لا يهلك حتى يكون سرًا)(١٣٥).

وأبو بكر بن حزم هو عامله وقاضيه على المدينة.

وأوصاه أن يكتب ما عند عمرة بنت عبد الرحمن الأنصارى، والقاسم بن محمد بن أبى بكر .

---

(١٣٣) سورة البقرة آية ١٤٣ .

(١٣٤) سورة التوبة آية ١٠٠ .

(١٣٥) صحيح البخارى - كتاب العلم - باب كيف يقبض العلم.

وكذلك كتب إلى عماله فى أمهات المدن الإسلامية بجمع الحديث وقال: (انظروا حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم فاجمعوه)[١٣٦].

وكان هذا كفيلاً بأن يشغل الهمم. ويصادف القبول فى النفوس المستعدة فتسرع للإجابة لتنفيذ أمره على خير وجه .

وقد لبى الأمر الإمام الكبير محمد بن مسلم بن شهاب الزهرى.

ثم شاع التدوين فى الجيل الذى يلى جيل الزهرى .

وكان أول من جمع بمكة ابن جريج . وبالمدينة ابن اسحق، ومالك. وبالبصرة سعيد بن أبى عروبة والربيع بن صبيح وحماد بن سلمة. وبالكوفة سفيان الثورى. وبالشام أبو عمر والأوزاعى . وبواسط هشام بن بشير ، وباليمن معمر بن راشد . وبالرى جرير . وبمصر عبد الله بن وهب .

وهؤلاء كانوا فى عصر واحد لا يدرى أيهم كان أسبق .

منهج ومراحل جمع السنة

* جمعوا حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم مختلطًا مع غيره بأقوال الصحابة والتابعين مع ضم الأبواب بعضها إلى بعض. ثم تلاهم كثير من أهل عصرهم نسجًا على منوالهم.

* رأى بعض الأئمة أن يفرد حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم خاصة على رأس المائتين فى أوائل القرن الثالث فأُلفت المسانيد.

ومنهج المسانيد أن يجمع أحاديث كل صحابى على حدة وأن تعدد الموضوع .

ومن هذه المسانيد مسند عبد الله بن موسى العيسى الكوفى، ومسند مسدد بن مسرهد البصرى ، وأسد بن موسى الأموى ، ونعيم بن حماد الخزاعى .

ثم اقتفى الأئمة أثرهم كالإمام أحمد بن حنبل ، واسحق بن راهويه . وهما من أساتذة الإمام البخارى ، وكان منهج هؤلاء مزج الصحيح بغيره مما لم يصح .

* ثم أفرد البخارى الحديث الصحيح فى كتاب الجامع الصحيح ثم تلاه آخرون .

---

(١٣٦) أخرجه أبو نعيم فى تاريخ أصبهان.

وكانوا جميعاً يعظمون السنة فى نفوسهم فقد نقل الأئمة الأعلام أن الإمام مالك كان إذا أراد أن يُحدِّث توضأ ، وجلس على صدر فراشه ، وسرح لحيته ، وتمكن فى جلوسه بوقار وهيبة ، وحدث .

فقيل له فى ذلك . فقال: أحب أن أعظم حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا أحدث إلا على طهارة متمكناً.

وكان يكره أن يحدث فى الطريق أو هو قائم أو يستعجل . وقال أحب أن أتفهم ما أحدث به عن رسول الله صلى الله عليه وسلم

لماذا تأخر جمع السنة إلى ما بعد الخلفاء الأربعة

هذا باب عظيم النفع جداً ومع ذلك فقلَّ مَنْ يلتفت إليه...

إننا نسجل بفخر ويقين أن السنة النبوية المطهرة قد أراد الله لها أن تُجمع تُدون تدويناً عاماً فى هذا التوقيت التى دُونت فيه بالذات. وعلى يد إمام من أئمة الهدى وهو الخليفة الراشد عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه المعروف بورعه وتقواه.

والمعروف ببعد فترته عن الخلاف وعدم الانحياز لأية خلافات حتى لا يأتى بعد ذلك مَنْ يدعى انحياز عمر بن عبد العزيز لأية طائفة على حساب الأخرى.

أما التوقيت فقد اكتملت فى هذه الفترة السنة النبوية المطهرة واكتملت فترة الخلفاء الراشدين المهديين التى أمر النبى صلى الله علي وسلم المسلمين الإقتداء بهم والأخذ عنهم. فشاءت إرادة الله سبحانه أن تُسجل السُنة فى هذ الفترة بالذات حتى تُدون سنة النبى صلى الله عليه وسلم ومعه هدى الخلفاء الراشدين المهديين.

وبحضور شهود من الصحابة الأجلاء الذين عاشوا فترة نزول الوحى وفترة عمل الخلفاء الراشدين المهديين .

وها هم اليوم يحضرون تدوين السنة وتدوين عمل الخلفاء الراشدين وليس مَنْ رأى وعاين كمن سمع. وإنَّ ما يُثبت أن عمل الخلفاء الراشدين المهديين واجب الإقتداء به ما جاء عن العرباض بن سارية رضي الله عنه قال : وعظنا رسول الله صلى الله عليه وسلم موعظة ، وجلت منها القلوب ، وذرفت منها العيون ، فقلنا : يا رسول الله ، كأنها موعظة مودع ، فأوصنا ، قال : أوصيكم بتقوى الله ، والسمع والطاعة ، وإن تأمر عليكم عبد ، فإنه من

يعش منكم بعدي فسيرى اختلافا كثيرا ، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين ، عضوا عليها بالنواجذ ، وإياكم ومحدثات الأمور ، فإن كل بدعة ضلالة)[١٣٧].

ومن أمثلة هدى الخلفاء الراشدين :

* من ذلك أن النبى صلى الله عليه وسلم قسم خيبر بين الفاتحين ، ولكن عمر بن الخطاب رضى الله عنه لم يقسم سواد العراق . ورأى أن يبقيه فى أيدى أربابه ، ويُفرض الخراج على الأرض. ليكون مدداً دائماً لأجيال المسلمين.

وقال فى ذلك ابن قدامة : (وقسمة النبى صلى الله عليه وسلم خيبر كانت فى بدء الإسلام وشدة الحاجة ، فكانت المصلحة فيه . وقد تعينت المصلحة فيما بعد ذلك فى وقف الأرض فكان هو الواجب)[١٣٨].

* ومن ذلك موقف عثمان بن عفان رضى الله عنه من ضالة الإبل:

عن زيد بن خالد الجهني أنه قال جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فسأله عن اللقطة فقال اعرف عفاصها ووكاءها ثم عرفها سنة فإن جاء صاحبها وإلا فشأنك بها قال فضالة الغنم قال لك أو لأخيك أو للذئب قال فضالة الإبل قال ما لك ولها معها سقاؤها وحذاؤها ترد الماء وتأكل الشجر حتى يلقاها ربها قال يحيى أحسب قرأت عفاصها)[١٣٩].

ومضى العمل على هذا طوال عهد النبى صلى الله عليه وسلم ثم عهد أبى بكر الصديق رضى الله عنه وعهد الفاروق عمر رضى الله عنه، فكانت الإبل الضالة تُترك على ما هى عليه لا يأخذها أحد ، حتى يجدها صاحبها ، إتباعاً لأمر النبى صلى الله عليه وسلم ما دامت تستطيع الدفاع عن نفسها ، وتستطيع أن ترد الماء تستقى وتختزن منه فى أكراشها ما تشاء ومعها أحذيتها أى أخفافها التى تقوى بها على السير وقطع المفاوز.

ثم جاء الخليفة الراشد عثمان فكان ما أخبر به مالك أنه سمع ابن شهاب يقول : (كانت ضوال الإبل في زمان عمر بن الخطاب إبلا مؤبلة تناتج لا يمسها أحد حتى إذا كان زمان عثمان بن عفان أمر بتعريفها ثم تباع فإذا جاء صاحبها أعطي ثمنها)[١٤٠].

---

(١٣٧) رواه أبو داود والترمذي ، وقال حديث حسن صحيح. .

(١٣٨) المغنى لابن قدامة المقدسى ٢ / ٣٠٨ .

(١٣٩) صحيح مسلم - كتاب اللقطة حديث رقم (١٧٢٢).

(١٤٠) موطأ مالك – كتاب الأقضية – باب القضاء فى الضوال .

وفى زمان الخليفة الراشد على بن أبى طالب رضى الله عنه وافق عثمان فى جواز التقاط الإبل حفظًا لها لصاحبها ، ولكنه رأى أنه قد يكون فى بيعها وإعطاء ثمنها إن جاء ضرر به لأن الثمن لا يغنى غناءها بذواتها ، ومن ثمَّ رأى التقاطها والإنفاق عليها من بيت المال حتى إذا جاء ربها أُعطيت له[١٤١].

* ومثل ذلك كثير : كجمع القرآن فى عهد أبى بكر الصديق. وكجمع الناس لصلاة التراويح وإسقاط سهم المؤلفة قلوبهم فى عمر بن الخطاب وكنسخ القرآن إلى الأمصار فى عهد عثمان بن عفان وكموقف جمع ضوال الإبل فى عهد على بن أبى طالب .

وتُرى لو أن الناس اليوم علموا أنهم لو تركوا إبلهم ستأخذها الدولة تربيها لهم فى مزارعها ثم تعطيهم لهم بعدما سمنت، ألن يترك كل واحد إبله ليأتى بعد مدة وفرةً للغذاء؟ ثم ماذا يكون موقف الخلفاء من ذلك ؟ أيتركون الناس يفعلون ذلك ويتكبدون من بيت المال مؤنة الإبل ؟! لا شك أن فقههم سيكون على ما يكون صالحًا لزمانه.

فما كان تدوين السنة فى هذا التوقيت بالذات إلا أمرًا قدريًا أراده الله لعله شرعية. وهذا باب يستحق أبحاث مستقلة.

وهكذا حفظ الله على المسلمين مادة البلاغ الثانية كما قال تعالى : (إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ)[١٤٢].

الأحاديث الموضوعة (المكذوبة)

ألف البعض عبارات ومقولات ونسبوها إلى النبى محمد صلى الله عليه وسلم . وقد بدأت هذه الظاهرة الغريبة منذ بادية العام الأربعين من الهجرة لأسباب مختلفة بيَّنها أهل العلم.

ومن الطبيعى أن ذلك لا يصدر إلا عمن لا معرفة لهم بالسنة ولا ثقة للناس بهم ولا صحبة لهم حقيقية مع الرسول صلى الله عليه وسلم . ومن يحاول التكلم فى شيئ لا علم له به يكون أمره مفضوحًا.

وقد أحس الثقات بهؤلاء فحصروهم فى قوائم سوداء[١٤٣] . وحصروا الضعفاء ، وحصروا أحاديثهم فى قوائم الضعفاء .

---

(١٤١) تاريخ الفقه الإسلامى للمرحوم الدكتور / محمد يوسف موسى – فقه الصحابة والتابعين . .

(١٤٢) موطأ مالك – كتاب الأقضية – باب القضاء فى الضوال .

(١٤٣) عُرفت باسم : قوائم الكذابين والوضاعين .

وقوبلت حركة الوضع الهزيلة بحركة قوية جبارة من علماء السنة الذين وضعوا المقاييس الفريدة والمنهج القويم يساند ذلك الحق والإلهام والذوق والملكة.

بل كانت إن حركة الوضاعين بدون أن يشعروا عاملاً حفازاً لعلماء السنة أن ينشطوا فى الاهتمام بالحديث ، وأن يحتاطوا لمعرفة الرجال ثقاتهم من ضعفائهم. والتزموا الإسناد فى كل الأخبار فكانوا يقولون : (سموا لنا رجالكم)

فعن محمد بن سيرين، قال : كانوا لا يسألون عن الإسناد ، فلما وقعت الفتنة ، قالوا : سموا لنا رجالكم ، فننظر إلى أهل السنة فنأخذ حديثهم ، وإلى أهل البدعة فلا نأخذ حديثهم(١٤٤) .

وعن أبي العالية ، قال : كنا نسمع الرواية بالبصرة عن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلم نرض حتى ركبنا إلى المدينة ، فسمعناها من أفواههم(١٤٥) .

وعن سفيان الثورى : لما استعمل الرواة الكذب استعملنا لهم التاريخ(١٤٦) .

وخذ مثالا لإمام من أئمة هذا العلم وهو عبد الله بن المبارك(١٤٧) فى عدة أقوال يثبت فيها الإسناد فى الرواية :

قال : (الإسناد من الدين. ولولا الإسناد لقال من شاء ما شاء)

وقال أيضاً : (بيننا وبين القوم القوائم يعني الإسناد)

وعن أبى إسحق إبراهيم بن عيسى الطالقاني قال قلت لعبد الله بن المبارك يا أبا عبد الرحمن الحديث الذي جاء إن من البر بعد البر أن تصلي لأبويك مع صلاتك وتصوم لهما مع صومك قال فقال عبد الله يا أبا إسحق عمن هذا قال قلت له هذا من حديث شهاب بن خراش فقال ثقة عمن قال قلت عن الحجاج بن دينار قال ثقة عمن قال قلت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يا أبا إسحق إن بين الحجاج بن دينار وبين النبي صلى الله عليه وسلم مفاوز تنقطع فيها أعناق المطي ولكن ليس في الصدقة اختلاف .

---

(١٤٤) مقدمة صحيح مسلم للنووى . وكذلك فى حلية الأولياء لأبى نعيم (٢٤٥٧) .
(١٤٥) الطبقات الكبرى لابن سعد (٨٥٦٧) .
(١٤٦) تاريخ دمشق لابن عساكر رقم (٨١) .
(١٤٧) هذه الأقوال كلها جاءت عنه فى مقدمة صحيح مسلم للإمام النووى .

وعن علي بن شقيق قال سمعت عبد الله بن المبارك يقول على رءوس الناس دعوا حديث عمرو بن ثابت فإنه كان يسب السلف.

كما إن هؤلاء العلماء الثقات رحلوا من أجل الحديث : يقول سعيد بن المسيب : إن كنت لأسير الليالي والأيام في طلب الحديث الواحد[١٤٨] .

* والبعض يتهم النبى صلى الله عليه وسلم بسبب الأحاديث المكذوبة عليه . وقد يأتى أحدهم بحديث لا أصل له مكذوب على النبى صلى الله عليه وسلم ثم يقول انظروا ما يقوله نبيكم !

* وقد يأتى بقول مكذوب على أى صحابى جليل مثل أبى هريرة رضى الله عنه أو غيره ثم يقول انظروا لهذا الراوى التائه !

ومثل هذا الكلام لا وزن له . فمنذ متى يُؤاخذُ الناسُ على أقوال لم يقولوها أو أفعال لم يفعلوها ؟!

(١٤٨) جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر رقم (٤١٥) .

مكارم أبى هريرة رضى الله عنه
ورحيله عن الحياة

مكارم أبى هريرة رضى الله عنه

كان أبو هريرة رضى الله عنه من العابدين الأوابين يتناوب مع زوجته وابنته الليل كله. فيقوم هو ثلث اليل ، وتقوم زوجته ثلثه ، ويقوم خادمه ثلثه. فلا تمر ساعة من الليل إلا وفى بيته عبادة وذكر وصلاة وصيام. وندع النصوص هى التى تتكلم :

عن أبي عثمان النهدي ، قال : " تضيفت أبا هريرة سبعا ، وكان هو وامرأته وخادمه يعتقبون الليل أثلاثا ، يقوم هذا وينام هذا ، ويقوم هذا وينام هذا ، وسمعت أبا هريرة ، يقول " : قسم رسول الله صلى الله عليه وسلم تمرا ، فأصابني سبع تمرات ، فكان فيه حشفة ، ما كان شيء أحب إلي منها شدت في مضاغي قال سليمان : أي كان لها قوة ، قال : فقلت : يا أبا هريرة ، فكيف تصوم الشهر ؟ فقال : أصوم من أول الشهر ثلاثا ، فإن حدث بي حدث كان لي أجر شهري[١٤٩] .

قال الحافظ ابن حجر: أخرج ابن سعد بسند صحيح عن عكرمة أن أبا هريرة رضي الله عنه كان يسبح كل يوم اثنتى عشرة ألف تسبيحة يقول : أسبح بقدر ذنبي[١٥٠] .

* وهكذا كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يفعلون ما يفعلون من الخير ثم هم بعد ذلك خائفون وجلون من مولاهم كما أخبر الله تعالى عنهم : (وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ)[١٥١] .

ومما يشير إلى كياسته وصبره العظيم وزهده فى الدنيا أنه كان من أهل الصفة الذين تركوا الدنيا ومتاعها وراء ظهورهم وتفرغوا للأخذ عن النبى صلى الله عليه وسلم . وكثيراً ما تحملوا آلام الجوع ومشقته فى سبيل ذلك .

فعن أبى هريرة رضى الله عنه أنه كان يقول : والله الذي لا إله إلا هو إن كنت لأعتمد بكبدي على الأرض من الجوع وإن كنت لأشد الحجر على بطني من الجوع ولقد قعدت يوما على طريقهم الذي يخرجون منه فمر أبو بكر فسألته عن آية من كتاب الله ما سألته إلا ليشبعني فمر ولم يفعل ثم مر بي عمر فسألته عن آية من كتاب الله ما سألته إلا ليشبعني فمر فلم يفعل ثم مر بي أبو القاسم صلى الله عليه وسلم فتبسم حين رآني وعرف

---

(١٤٩) مسند اسحق بن راهويه رقم (١١) .
(١٥٠) الإصابة لابن حجر ٧ / ٣٦٠
(١٥١) سورة المؤمنون آية ٦٠

ما في نفسي وما في وجهي ثم قال يا أبا هر قلت لبيك يا رسول الله قال الحق ومضى فتبعته فدخل فاستأذن فأذن لي فدخل فوجد لبنا في قدح فقال من أين هذا اللبن قالوا أهداه لك فلان أو فلانة قال أبا هر قلت لبيك يا رسول الله قال الحق إلى أهل الصفة فادعهم لي قال وأهل الصفة أضياف الإسلام لا يأوون إلى أهل ولا مال ولا على أحد إذا أتته صدقة بعث بها إليهم ولم يتناول منها شيئا وإذا أتته هدية أرسل إليهم وأصاب منها وأشركهم فيها فساءني ذلك فقلت وما هذا اللبن في أهل الصفة كنت أحق أنا أن أصيب من هذا اللبن شربة أتقوى بها فإذا جاء أمرني فكنت أنا أعطيهم وما عسى أن يبلغني من هذا اللبن ولم يكن من طاعة الله وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم بد فأتيتهم فدعوتهم فأقبلوا فاستأذنوا فأذن لهم وأخذوا مجالسهم من البيت قال يا أبا هر قلت لبيك يا رسول الله قال خذ فأعطهم قال فأخذت القدح فجعلت أعطيه الرجل فيشرب حتى يروى ثم يرد علي القدح فأعطيه الرجل فيشرب حتى يروى ثم يرد علي القدح فيشرب حتى يروى ثم يرد علي القدح حتى انتهيت إلى النبي صلى الله عليه وسلم وقد روي القوم كلهم فأخذ القدح فوضعه على يده فنظر إلي فتبسم فقال أبا هر قلت لبيك يا رسول الله قال بقيت أنا وأنت قلت صدقت يا رسول الله قال اقعد فاشرب فقعدت فشربت فقال اشرب فشربت فما زال يقول اشرب حتى قلت لا والذي بعثك بالحق ما أجد له مسلكا قال فأرني فأعطيته القدح فحمد الله وسمى وشرب الفضلة [١٥٢] .

* وكان يتلوى من شدة الجوع حتى يسقط على الأرض من شدته ، ومع ذلك كان يمتنع عن سؤال الناس فيقول عن هذه الفترة من حياته : لقد رأيتني أصرع بين منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين حجرة عائشة رضي الله تعالى عنها ، فيقول الناس : إنه مجنون ، وما بي جنون ، ما بي إلا الجوع[١٥٣] .

ولقد افترى على الحق من زعم أن أبا هريرة رضى الله عنه كان مصاباً بالصرع استناداً إلى كلمته " أُصرع " الواردة فى هذا الأثر فقد فسر ذلك أبو هريرة رضى الله عنه هذا الصرع بأنه صرع جوع وفاقة ، لا صرع جنون ومرض.

---

(١٥٢) صحيح البخارى - كتاب الرقاق حديث رقم (٦٠٨٧).
(١٥٣) حلية الأولياء لأبى نعيم رقم (١٣٣٩).

والذين تكلموا عن حياة أبى هريرة رضى الله عنه من المؤرخين المسلمين لم يذكروا لنا أى شيئ عن إصابته بهذا المرض. فمن أين جاء بعض المستشرقين بهذه الفرية ، وليس لهم مرجع يرجعون إليه فى تاريخ حياته إلا ما كتبه المؤرخون المسلمون؟!

* وكان أبو هريرة رجلاً كريماً مضيافًا ، فقد ذكر أحد أضيافه وهو الطفاوي قال نزلت على أبي هريرة بالمدينة ستة أشهر فلم أر رجلا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أشد تشميرا ولا أقوم على ضيف منه(١٥٤) .

* وكان أبو هريرة رضى الله عنه مع زهده وورعه يتمتع بالكياسة، وكان الفاروق عمر يبحث عن صاحب الزهد والكياسة ليوليه الإمارة. لذا ولاه ولاية البحرين ثم حقق معه فى نعمة ظهرت عليه. فتبين براءة ساحته . فأراد عمر أن يجدد له الولاية مرة أخرى فاعتذر أبو هريرة. فقال له عمر ما معناه – وهو يريد أن يجعله يقبل الإمارة – مرة أخرى : إن كنت رجلاً فقد طلب الإمارة من هو خير منك – يقصد نبى الله يوسف – .

وما ذلك إلا شهادة ضمنية من عمر على خيرية أبى هريرة رضى الله عنه وندع النصوص هى التى تتكلم :

عن محمد بن سيرين: أن عمر استعمل أبا هريرة رضي الله عنه على البحرين، فقدم بعشرة آلاف، فقال له عمر: استأثرتَ بهذه الأموال يا عدوّ الله وعدوّ كتابه! فقال أبو هريرة :فقلت :لستُ بعدوِّ الله وعدوِّ كتابه، ولكني عدوٌ مَنْ عاداهما.

قال: فمن أين هي لك؟ قلت: خيلٌ نَتَجَتْ، وغَلّةُ رقيقٍ لي، وأَعْطِيةٌ تتابعتْ .

فنظروا فوجدوه كما قال .

فلما كان بعد ذلك دعاه عمر؛ ليُوَلِّيَه، فأبَى، فقال: تَكْرَهُ العملَ (يعني الولاية) وقد طلب العمل مَنْ كان خيراً منك، يوسفُ عليه السلام؟ فقال: يوسف نبيٌّ ابنُ نبيٍّ ابنِ نبيٍّ، وأنا أبو هريرة ابن أميمة (اسم أمه)، وأخشى ثلاثاً واثنتين. قال: فهلا قلتَ خمسا؟ قال :أخشى أن أقولَ بغير علمٍ، وأقضيَ بغير حكمٍ، وأن يُضْرَبَ ظهري، ويُنْتَزَعَ مالي، ويُشْتَمَ عرضي(١٥٥).

---

(١٥٤) سير أعلام النبلاء للحافظ الذهبى – الصحابة رضوان الله عليهم – أبو هريرة .

(١٥٥) أخرجه ابن سعد بسند صحيح (في الطبقات الكبرى ٣٣٥/٤) وأبو نعيم في حلية الأولياء (٣٨٠/١ - ٣٨١) وعزاه ابن كثير في (البداية والنهاية) لعبد الرزاق.

ومن زهده فى الولايات والإمارات أن مروان بن الحكم أمير المدينة لمعاوية رضى الله عنه كان إذا أراد أن يترك المدينة مؤقتًا كان يبحث عن رجل ليس له مطمعٌ في الإمارة فلم يكن يجد مثل أبى هريرة رضى الله عنه فى زهده وفى كياسته رغم مناوأة أبى هريرة له أكثر من مرة .

وبذلك يتضح لنا أن الولايات التى تولاها أبى هريرة رضى الله عنه هى كالتالى:

أولا : وكالة الزكاة التى أسندها إليه الرسول صلى الله عليه وسلم .

ثانيًا : أمارة البحرين وكانت فى عصر عمر بن الخطاب .

واتهمه البعض فتحقق لعمر صدقه فأراده أن يتولى له إمارة فرفضها بحزم.

ثالثًا : تسيير أعمال المدينة فى غياب أميرها وكانت فى عصر معاوية .

****

عند الرحيل

مرض أبو هريرة رضى الله عنه فى آخر حياته ولزم بيته وكإمام كبير للمسلمين أخذ الناس يعودونه ويدعون له .

فعن أبى سلمة بن عبد الرحمن قال : (دخلت على أبي هريرة ، وهو وجع شديد الوجع ، فاحتضنتُه فقلت : اللهم اشف أبا هريرة ، قال : اللهم لا ترجعها – قالها مرتين – ، ثم قال : إن استطعت أن تموت فمت ، فو الذي نفس أبي هريرة بيده ليأتين على الناس زمان يكون الموت أحب إلى أحدهم من الذهبة الحمراء ، وليأتين على الناس زمان يمر الرجل على قبر أخيه المسلم، فيتمنى أنه صاحبه)[١٥٦].

* وقال عبد الرحمن بن مهران : أنا أبا هريرة رضى الله عنه حين حضرته الوفاة قال : (لا تضربوا علىَّ فسطاطًا ولا تتبعونى بمجمرة وأسرعوا به)[١٥٧].

* ولما حضرته الوفاة بكى ، سئل ما يبكيك ؟ فقال : (من قلة الزاد وشدة المفازة)[١٥٨].

* ودخل عليه مروان فى مرضه الذى مات فيه قال ": شفاك الله . فقال أبو هريرة: اللهم إنى أحب لقاءك فأحب لقائى ، ثم خرج مروان فلما بلغ وسط السوق حتى مات.

* وصلى عليه الوليد بن عتبة بن أبى سفيان بعد صلاة العصر.

* ولما بلغ الخليفة معاوية نعيه أمر عامله بالمدينة أن يكرم أهله وذويه وأن يحسن جوارهم ، وذكر بعض فضائله .

وهكذا مات سيدنا أبو هريرة رضى الله عنه عن عمر يناهز ثمان وسبعين عامًا فى العام التاسع والخمسين للهجرة بعد أن صار بالعلم إماماً كبيرا على مر الأجيال ، فالعلم عماد الضعفاء وزينة الأقوياء وحجة العلماء.

وتبوأ أبو هريرة رضى الله عنه مكانة كبيرة بين ساكنى البقيع الأبرار. وسكن اللسان الذى لطالما تحدث بأحاديث النبى صلى الله عليه وسلم التى ألقاها فى أُذن الزمان وسَمْعِه. ليعلم الناس على مر العصور والأزمان ما لم يتعلموه قبل هذا الإسلام العظيم.

وكان يجود بروحه ولسان حاله يقول :

---

(١٥٦) أخرجه ابن أبى الدنيا بسند صحيح برقم (٢٧٩).
(١٥٧) أخرجه أحمد والنسائى بسند صحيح .
(١٥٨) أخرجه البغوى .

شوقًا إليك يا رسول الله

وحمدًا لك يا الله على ما وهبتنا من نعمة الحياة

وأحب أن أستعير كلمة الأستاذ خالد محمد خالد فى رجال حول الرسول وهو يقول عن أبى هريرة :

وهكذا كان أبو هريرة رضى الله عنه واحدًا من الذين تنعكس عليهم دعوة الإسلام العظيم بكل ما أحدثته من تغيرات هائلة.

فمن أجيرٍ إلى سيد . ومن تائه فى الزحام ، إلى عَلَمٍ وإمام. ومن ساجدٍ أمام حجارة مركومة إلى مؤمن بالله الواحد القهار . وها هو ذا يتحدث عن نفسه شاكرًا لأنعم الله عليه فيقول : (نشأت يتيمًا وهاجرت مسكينًا ، وكنتُ أجيرًا لبُسرة بنت غزوان بطعام بطنى ، وعقبة رحلى أحدو بهم إذا ركبوا ، وأحتطب إذا نزلوا ، فالحمد لله الذى جعل الدين قواماً وجعل أبا هريرة إماما)

(وصلِّ اللهم على سيدنا محمد ، والحمد لله أولاً وآخرًا)

كلمات شعرية فى أبى هريرة

شعر للمؤلف / منير عرفة

سبّاقُ يا ابنَ الدوس يومَ أتيتَنا *** فصحبتَ خيرَ معلمٍ وإمامِ
بُوركتَ من رجلٍ يرومُ إلى العُلا *** حتى غدوتَ منارةَ الإسلامِ
وسكنتَ دارًا للضيافةِ منزلاً *** فى صُفَّةِ الفقراءِ والأيتامِ
وأويتَ هرًا من شديدِ برودةٍ *** رمزًا يشيدُ برحمةِ الأعجامِ
أصبحتَ ظلاً للرسولِ كأنَّما *** شمسٌ يصاحبُها تتابعُ الأيامِ
وبسطتَ ثوبكَ للحديثِ براعةً *** فما نسيتَ على مدى الأيامِ
يتلوك زيدٌ والصحابُ جميعُهم *** سبّاقُ دومًا كنتَ خيرَ غلامِ
وشكوتَ أمَّك للرسولِ فأسلمتْ *** أماهُ نورٌ بعد طولِ ظلامِ
ترضى القليلَ من الحياةِ وبعتَها *** للهِ ثم لصحبةِ الأعلامِ
ونصرتَ صديقَ الخلافةِ وقتَما *** ارتدَّ قومٌ لعبادةِ الأصنامِ
يدعُوك عمرُ للإمارةِ ثانيًا *** فأبيتَها وإنْ كانت لخيرَ وسامِ
ونصرتَ يومَ الدارِ عثمانَ راشدًا *** من غادرينَ بقوةٍ وسهامِ
وأبيتَ حربًا تنطوى عن فتنةٍ *** بين البغاةِ وبين حقِ إمامِ
مَنْ يجحدْ الصحبَ الكرامَ حقوقَهم *** تاللهِ ليس يدينُ بالإسلامِ
ونشرتَ دينَ الله وحىَّ نبيِّهِ *** فسبقتَ ما خُطَّ بالأقلامِ
بالعلمِ قد دارتْ سجالٌ بينكم *** حتى أقروا برفعةٍ وإمامِ
مَنْ يرفع النفسَ الأبيةَ يرتفعْ *** ومَنْ هانَ يُداسُ بالأقدامِ
مَنْ كان يومًا تابعًا لقبيلةٍ *** بالعلمِ يحيا سيدًا وإمامى
مَنْ لم يضيعْ فى البريةِ نفسَهُ *** فى الأمرِ يُدعى لشدائدٍ وعظامِ
نضِّرْ إلهَ الكونِ وجهَ أئمةٍ *** للحقِ عاشوا لا لشريعةِ الأوهامِ
رباهُ وارحمْ تائهًا فى غربةٍ *** رباهُ أحسنْ فى الحياةِ ختامى

مراجع البحث

القرآن الكريم
تفسير ابن كثير
موطأ مالك
مسند أحمد
صحيح البخارى
صحيح مسلم
سنن الترمذى
سنن النسائى الكبرى
سنن أبى داود
سنن ابن ماجة
سنن ابن حبان
المستدرك على الصحيحين للحاكم
سنن الدارمى
سنن البغوى
مسند اسحق بن راهويه
مصنف ابن أبى شيبة .
سير أعلام النبلاء - الذهبى
التاريخ الكبير للبخارى
حلية الأولياء لأبى نعيم
تحفة الأحوذى للمباركفورى
طبقات ابن سعد
سير أعلام النبلاء للإمام الذهبى .
جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر
الإصابة فى تمييز الصحابة لابن حجر
المغنى لابن قدامة المقدسى
مجالسة وجواهر العلم للدينوري
حياة محمد - السير وليم ميور
حضارة العرب للمستشرق جوستاف ليبون
تذكرة الحفاظ للإمام الذهبى
كتاب المجروحين لابن حبان
تاريخ دمشق لابن عساكر.
البداية والنهاية للحافظ ابن كثير.
الإجابة فيما استدركته عائشة على الصحابة - الزركشى
رحمة الحيوان فى الإسلام - منير عرفة

وفيات الأعيان لابن خلكان
الاستيعاب لابن عبد البر
أبو هريرة راوية الإسلام – محمد عجاج الخطيب
دفاع عن السنة د. محمد محمد أبو شهبة.
السنة ومكانتها فى التشريع الإسلامى – مصطفى السباعى .
رجال حول الرسول – خالد محمد خالد
دلائل التوثيق المبكر للسنة للدكتور امتياز أحمد
المدخل إلى فتح البارى للأستاذ السيد أحمد صقر
تهذيب التهذيب لابن حجر.
المحدث الفاضل – الرامهرمزى
علوم الحديث ومصطلحه .
تاريخ الفقه الإسلامى – د.محمد يوسف موسى .
رسائل النبي إلى الملوك والأمراء عبد الوهاب طويلة و د.محمد أمين شاكر.

فهرس

مقدمة ٣

الرجل السبّاق ٩

تحقيق..... ١٠

اسمه وكنيته ١١

أوصافه وشمائله ١٣

هجرته من دوس إلى المدينة ١٤

الصحبة المباركة..... ١٩

فطنة الرجل ١٩

تحقيق وتدقيق ٢١

توضيح ٢٤

الحفظ .. وقصة بسط الثوب..... ٢٤

زيد بن ثابت يشهد ٢٦

الغلام الدوسى..... ٢٧

سؤال وجواب ٢٨

آية فى حفظه ٢٩

إسلام أمه وبره بها ٣١

إسناد النبى صلى الله عليه وسلم وكالة الزكاة إليه ٣٢

مدة مصاحبة النبى صلى الله عليه وسلم..... ٣٣

٥٠ عامًا بعد وفاة الرسول ٣٦

أما القرآن الكريم (الجزء الأول من مادة البلاغ) :..... ٣٦

أما عن السنة النبوية (الجزء الثانى من مادة البلاغ) :..... ٣٧

منهج الصحابة لحفظ السنة ٣٩
مواقف الخلفاء الأربعة فى التثبت من الرواية ٤٢
السنة النبوية والرجل الشبعان ٤٤
دور أبى هريرة فى حفظ السنن ٤٥
موقف عمر بن الخطاب من أبى هريرة ٤٦
عبد الله بن عمر يشهد ٥٠
الزبير بن العوام والخلاف الفقهى ٥١
استدراكات عائشة على الصحابة() ٥٢
وسام شرف من عائشة لأبى هريرة ٥٨
خلاصة مواقف الصحابة حول أبى هريرة ٥٩
حياد المغرضين عن الجادة ٦٠
موقف أبى هريرة من فتنة عثمان ٦٢
موقف أبى هريرة من الفتنة الكبرى ٦٥
إمام المسيرة لا شيخ المضيرة ٦٦
بعد الخلافة الراشدة ٦٩
فقه أبى هريرة ٧٣
مدرسة أبى هريرة رضى الله عنه ٧٩
من تلاميذ أبى هريرة رضى الله عنه ٨٠
تدوين السنة ٨٢
منهج ومراحل جمع السنة ٨٧
لماذا تأخر جمع السنة إلى ما بعد الخلفاء الأربعة ٨٨
الأحاديث الموضوعة (المكذوبة) ٩٠

مكارم أبى هريرة رضى الله عنه ٩٤
عند الرحيل ٩٨
كلمات شعرية فى أبى هريرة ١٠٠
مراجع البحث ١٠١
فهرس ١٠٣